

مؤلفه زينب المزيه

مع الكون اخراطين

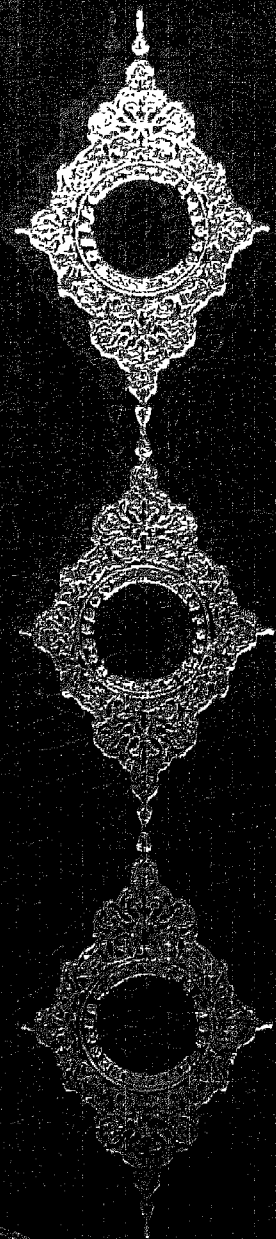
في مكديت

المهدي والمهدوية

تتبع محمد وسره القر

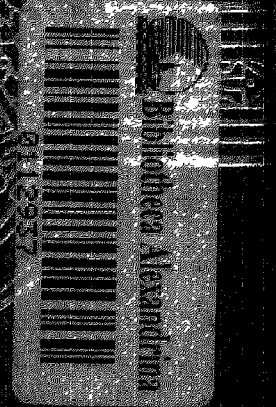
الشمس

الكتاب والكتبة



مؤسسة المنكان
المنكان والشمس للكتاب

بوتان لوزا المنكان



الثقافة
الكتاب والعامة

مع الدكتور أحمد أمين
في حديث
المنبري والمندوبية

واليكم بعض المنشورات كما تزودكم بكتب دور النشر الأخرى



مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد رشيد عيسى
والقلم العربي

- ٢٢ - الكنز المدفون والفلك المشحون - دائرة معارف - السيوطي
- ٢٣ - الدر الثمين في التخم باليمين - للطسي
- ٢٤ - أخلاق أهل البيت - للسيد مهدي الصدر
- ٢٥ - فاطمة الزهراء بيجة قلب المصطفى من مهدا إلى لحدا - أحمد الرحمان (مجلدين)
- ٢٦ - سياحة في الغرب أو مصير الأرواح بعد الموت مع خطبتان للإمام علي بلا ألف وبلا نقط وقصيدة الكثرية وقصيدة عماد مجذوب
- ٢٧ - فرائد الأصول - رسائل الشيخ الأنصاري، (مجلدين)
- ٢٨ - نقد الآراء المنطوية وحل مشكلاتها - كاشف الغطاء (مجلدين)
- ٢٩ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام تأليف آية الله السيد حسن الصدر
- ٣٠ - الرسائل التوحيدية - للسيد محمد حسين الطباطبائي
- ٣١ - زواج بغير احواج - السيد حسين الشامي
- ٣٢ - الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب نقله إلى العربية - الدكتور نور الدين آل علي
- ٣٣ - الدر النضيد في مرآة السبط الشهيد السيد محسن الأمين العامل
- ٣٤ - أسرار الشهادة - الدر بندي بحلة جديدة (مجلدين)
- ٣٥ - تفسير فُرات الكوفي بحلة جديدة (مجلدين)
- ٣٦ - مفتاح الجنة - في الأدعية والريارات وتعليم الصلاة / حسن الكتيبي
- ٣٧ - الحجاب أو العقاب بين السلب والإيجاب محمد أمين زين الدين
- ٣٨ - فضائل أهل البيت المسمى بـ"صانتر الدرجات"، عماد الصفار
- ٣٩ - رحلة الزنجاني - للمرحوم الشيخ عبد الكريم الرنجاني (مجلدين)
- ٤٠ - مختصر النحو - الدكتور هادي الفضلي

- ١ - عبقري من بلادي - كامل الصباح الذي اخترع ٧٦ اختراعاً وكان نايمة إسلامية عربية
- ٢ - صلح الحسن - الشيخ راضي آل ياسين
- ٣ - علي من المهدي إلى المهد - كاظم القزويني وملحق به الكتاب، الثاني الإمام علي والعلوم الطبيعية
- ٤ - البراهين العلمية في إثبات القدرة الإلهية - مائة دليل وبرهان على وجود الخالق: الشيخ عبد الجبار
- ٥ - مفتاح الجنان - مع الصحيفة السجادية - كبير
- ٦ - ضياء الصالحين - للجوهري (بسحاب)
- ٧ - مفتاح الجنان - للقمي، (بسحاب)
- ٨ - معالي السطين في أحوال الحسن والحسين - للحائري، (مجلدين)
- ٩ - الثقلان الكتاب والمعزة - للشيخ عماد حسين المظفر، وملحق به الكتاب الثاني مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية للشيخ عماد أمين زين الدين
- ١٠ - يوم الإسلام - تأليف أحمد أمين
- ١١ - دراسات في عقائد الشيعة الإمامية - للسيد محمد علي الحسيني العامل - يعنىك عن كل كتاب
- ١٢ - طب الإمام الرضا (ع) - الرسالة الذهبية
- ١٣ - كشكول البحرائي - (٣ مجلدات)
- ١٤ - القصص العجيبية - عبد الحسين دستغيب
- ١٥ - المكاسب - للشيخ الأنصاري (٣ مجلدات)
- ١٦ - مدينة المعاجز - معاجز آل البيت للبحراني (٥ مجلدات)
- ١٧ - معالم المدرستين - مرتضى العسكري (٣ مجلدات)
- ١٨ - من حياة الإمام الرضا (ع) - المعصومة (ع) السيد عبد العظيم الحسيني - البهائي - علي العسيلي
- ١٩ - المعجزة فيما نزل في القائم الحجة - للسيد البحراني
- ٢٠ - الفرج بعد الشدة - للقاضي التبريزي، (مجلدين)
- ٢١ - مصباح الكفعمي - بحلة جديدة وحرف واضح (مجلدين)

مؤسسة النعمان الأسعار قابلة للتعديل حسب ارتفاع كلفة المواد ص. ب. : ٢٥ / ٢٢٩

لبنان بيروت حارة حريك - شارع ذكاش - بناية الكنار - شاهين ستر
ترسل الحوالات على حسابنا في بنك الاعتماد اللبناني باسم حسن محمد إبراهيم عيسى
حساب رقم: 16.01.180.16259.00.00 فرع الغبيري - بيروت - لبنان أو شك مضمون على البنك

محمد أمين زين الدين

مع الدكتور أحمد أمين

في حديث

المندي والمندوية

واكتمالاً للفائدة - نورد لعزیزنا القاریء بعض المعلومات القيمة الهامة التي تمم الباحثين
الاسلاميين - الناشر

لهذه الغاية وحدها حررت
كتابت وأحق يشهد على
ما أقول والآراء إنما
تؤسس للرد أو للقبول.

مع كتاب

الثقلان الكتاب والعترة - للشيخ محمد حسين المظفر

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ص. ب. ٢٢٩/٢٥

حقوق الطبع محفوظة

١٩٩٢-١٤١٣هـ



مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
محسن محمد رشيد عيسى عياشي

لبنان - بيروت - ص.ب. : ٢٥ / ٢٢٩ - هاتف : ٨٣٤٢٢١
العنوان - حارة حريك شارع دكاش بناية الكنار شاهين سنتر

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدي والمهدوية كتاب للأديب المصري أحمد أمين وتعرفه من خلال (ضحى الإسلام) وظهره وفجره . في هذا الكتاب حاول الدكتور أن يشرح فكرة المهدي بعض الشرح وأن يلم بتأريخها كل الإمام ، ولكن قلة المصادر قصرت به عن الغاية فلم يوضح في الشرح ولم ينصف في التأريخ . ولعل تلك القلة المزعومة ناتجة عن قصر ذات يده فدفعته باعتقادنا إلى مخالفة المنقول والمعقول من أجل عمليات الترويح والرواج لما يكتب حتى يزيل قلة في المصادر عانى منها الكثير ، فيكون سبب إزالتها (خالف تُعرف) .

وتأتي (مؤسسة النعمان) لتعيد طباعة كتاب قديم كان قد طبع سنة ١٩٥١ م في النجف الأشرف للسيد محمد أمين زين الدين ويرد فيه المؤلف الطابة إلى مرماها ، والسهم إلى باربه ، إثباتاً للحق والحقيقة ، وامثالاً للواجبات الإلهية في الذب عن الدين ومجابهة المنكرين والطاعنين لرسالة النبي الأكرم (ص) .

وكتاب (مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية) من الكتب التي صغر حجمها وكثر نفعها وزيد في فضلها حتى قصرنا القول عنها إنها ليست سوى معاجم في صغرها وقول الحق كبير وكبير جداً مهما صغر الأعلى الكافرين .

ولا غرابة في كل ما قلناه وأوضحناه لأن (مؤسسة النعمان) عملت

قديمًا وما زالت تعمل في نشر التراث الإسلامي وطباعة ونشر كل ما يخدم القضايا الإسلامية اتباعاً للأوامر الإلهية وتقيداً بالرسالات الفكرية والحضارية للشعوب ، ونهجاً لما يؤدي إلى تطور الأفكار الجامدة وإحياء الميت فيها ، ودفعاً لمسيرة الإنسان في ارتقائه نحو الإيمان بالله ، فيتبع أوامره وينتهي عن نواهيه والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق .

الناشر

الحاج حسن الكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيد رسله محمد وآله ،
والصفوة المنتجة من أصحابه ، والتابعين لهم باحسان .

بين يدي الكتاب

صلتي بالدكتور أحمد أمين حرسه الله قديمة يرجع عهدها الى طويل
من السنين ، وأتذكر أن بداية هذه الصلة يوم قرأت له كتاب الاخلاق ،
وأكدتها قراءاتي المتتابعة لمؤلفات الدكتور ومقالاته الكثيرة ، وأشدت هذه
الصلة حين حررت كتاب (الاخلاق عند الامام الصادق) فقد كانت بيننا
أحاديث ممتعة لست أنساها ، وان لم يعلم بها الدكتور لانه لم يقرأ هذا
الكتاب .

والصلة حين تنشأ على الأخلاق تكون متركزة على العقل ، ومتصلة
بأعماق النفس ، وفي هذا ما يضمن لها البقاء ، ويحفظها عن تسرب
الوهن .

على أي - ولست أظلم الحقيقة فيما أقول - توسمت في الدكتور صفة
منذ اليوم الأول ، وأكدت لي القراءات المتتابعة صحة هذا التوسم ،
وسيؤكددها أيضاً ما أقرأه بعد من منتوجات الإستاذ الجليل ، لان هذه
الصفة ثابتة للدكتور من دون ريب ، ويستحيل أن لا تكون .

توسمت في الدكتور صفة لا يرضاها لنفسه ، وماذا علي من جحوده
لهذه الصفة إذا ارتضاها له عمله ، وأكثر الناس ينكرون صفاتهم التي

يكرهونها ، ويتنكرون لمن وصفهم بها أشد التنكر ، وللواقع سلطان نافذ الحكم على المدعي والمنكر .

توسمت في الدكتور يوم رأيتُه ناقداً إنه لم يخلق للنقد وإنما خلق للتاريخ ، وكأن الطبيعة هيأته لأن يكون مؤرخاً كبيراً يستعرض التاريخ بحروفه وصوره ، ويستقرء الحوادث أسودها وأبيضها ، يلقيها دروساً على تلاميذه في الجامعة ، ويحررها كتباً لقرائه الآخرين ، ولكن الطبيعة لم تهيئه لأن يكون ناقداً في يوم من الأيام .

أقول : إن الطبيعة لم تهيئه للنقد ولا لما يشبه النقد ، لاني لم أجده موفقاً في نقوده الكثيرة إلا إذا كان غيره مصدر ذلك النقد ، وكان نصيبه منه نصيب المؤرخ من التأريخ .

هذا ما أقوله في الأستاذ بعد تجارب سنين ، وهذا ما التحدى القاريء الى تجربته في نقود الأستاذ ، على أن ينظر اليه كاتباً عريباً له محاسنه وله مساويه ؛ وقد يكون في القراء من علم ذلك قبلي ، فلست أريد الاستيثار بالحقائق وان كانت حلوة ، فكيف بالحقائق المرة .

أضفت هذا التوسم الى تلك الصلة منذ سنين ، فكانت مطالعاتي لكتب الأستاذ ومقالاته تمد لي هذه الصلة بالقوة وتؤكد لي هذا التوسم بالثبات والرسوخ ، حتى أصبحت الصلة صداقة ، وانقلب التوسم رأياً .

ولست أظن ان الاستاذ يغضب من رأيي هذا لأني لست فيه من الظالمين وليس علي من حرج أن أغضب صديقاً في الحق ، وإن كان هو الدكتور أحمد أمين وقد أوصانا الدكتور في كتاب الاخلاق ان لا نداهن في الحق ، وأن لا نغضب على أحد لأنه يقول الحق .

تعرفت الى الدكتور قديماً في كتابي الأول ، فلست أظن أنه ينكرني

إذا التقيت به في كتابي الأخير ، لأن صلة الادباء صلة في العقول ، وصلة العقول لا تخضع للزمان ولا للمكان ، ولا تقف دونها الحواجز .

وسأجهد أن تكون صلتنا اليوم أشد من صلتنا بالأمس لأن كتابي هذا بجميع فصوله سيحوم حول نظرية من نظريات الدكتور ، وسيحاسبه عن فكرة من أفكاره وللقارئ أن يسايرنا الى الغاية إذا أعجبه هذا اللون من الحديث ، وإذا لم تستطع هذه المقدمة أن تغضب الدكتور فانا ضمين له أن الكتاب لا يستطيع أن يغضبه أيضاً ، لأن كل ما فيه دليل على هذه الدعوى وبرهان على هذا الرأي .

ليقرأ الأستاذ كتابي هذا على أنه تفاهم حول فكرة نقدها الناقد طلباً للحق ، وأثبتها المثبت طلباً للحق أيضاً وحاول الكتاب أن يستخلص الحق من بين ذلك الشك وهذا اليقين .

لهذه الغاية وحدها حررت كتابي والحق يشهد على ما أقول ، والاراء إنما تؤسس للرد أو للقبول .

(المهدي والمهدوية) عنوان لكتاب جديد حاول الدكتور أن يشرح فيه فكرة المهدي بعض الشرح ، وأن يلم بتأريخها كل الامام ، ولكن قلة المصادر قصرت بالأستاذ عن الغاية ، فلم يوضح في الشرح ، ولم ينصف في التأريخ والكاتب في تفسير العقائد المذهبية إذا اعتمد على التأريخ وحده ، أو على ما يكتبه خصوم ذلك المذهب فقد فاتته من موضوعه كل شيء ، والدكتور يعترف بقلة المصادر عنده .

ويضاف الى قلة المصادر قلة تتبع الدكتور لما بين يديه من هذه المصادر ، ولو كان شديد التتبع لعلم ان الكتاب الذي بين يديه في شرح قصيدة العلامة بهاء الدين العاملي انما هو للشيخ أحمد الميني الحنفي المتوفي

سنة ١١٧٢ للهجرة ، وليس هو لناظم القصيدة كما يقول في ص ٣١ .

أقول : لو كان متتبعا لمصادر البحث في هذا الشرح ما دام يعتقد أن كاتبه أحد علماء الشيعة ولاطلع على الخلاف الشديد بين الشارح والناظم في كثير من أبيات القصيدة ، ولتوقف في هذه النسبة التي تسرع بها في كتابه ، لم أستغرب لهجة الأستاذ حين يقول عن أئمة الشيعة انهم يختفون عن الأعين ، ويعيشون على الوهم .

لم أستغرب هذا ونظائره من الأستاذ في كتابه الجديد فقد سمعت لهجته القديمة في كتبه الأولى ولست أنتظر منه تغييراً في لهجة ، أو تعديلاً في اسلوب ، وإذا كان قليل المصادر حين ما كتب فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، فانه قليل المصادر أيضاً حين ما يكتب المهدي والمهدوية ، فاللهجة هي اللهجة ، والمعاذير هي المعاذير ، وعلى الله الوصول الى نهاية المطاف .

لم أستغرب جميع هذا من الأستاذ ، ولكنني استغرب جداً أن يحاول بعد هذا كله أن يكون من دعاة الوحدة بين المسلمين . . . رأيت أسلس من هذه النتيجة لهذه المقدمات .

أما بعد فاني سأستعرض فكرة المهدي من نواحيها الخاصة بالشيعة الأثني عشرية ، وإن خلط الدكتور بين نواحيها الكثيرة ، فكون من مجموع الملابس مزيجاً عجبياً نتبرء منه كل طائفة على انفرادها ، وهذا أول شيء يؤاخذ به سعادة الدكتور .

النجف ١ ذي الحجة الحرام ١٣٧٠ .

محمد أمين زين الدين

المصلح المنتظر في أحاديث الأديان

لا يشك أحد أن فكرة الاصلاح المنتظر قديمة بقدم الزمان ، وانها ليست من متفردات دين الاسلام ، ولا من مؤسسات نبي الاسلام (ص) لأننا نجد الاديان السماوية التي سبقت الاسلام في الزمن تبشر بهذه الفكرة ، وتعلن عن هذا المبدأ ، وتحدد صفات المصلح ؛ وتصف مناهج الاصلاح ، وان لم تسم المصلح المنتظر مهدياً ولا دعوته الاصلاحية مهدوية .

ولسنا نشترط عليها ذلك بعد أن علمنا أن لكل أمة عرفاً ، ولكل لغة مصطلحات ولا تزال هذه الفكرة باقية فيما بقي من فرق هذه الأديان ؛ ففرق اليهود ، وطوائف النصارى لا تختلف في ذلك .

وقد سرت هذه الفكرة الى غيرهم من الاديان الاخرى كالزرادشتية ، والبرهمية ، والدكتور يعترف ببعض ذلك في كتابه^(١) وان كانت أمم الشرق أكثر تمسكاً بالفكرة لأن الشرقيين أكثر أملاً ، والغربيين

(١) انظر صحيفة ٦ وصحيفة ٢٠ من المهدي والمهدوية وانظر صحيفة ٥ و ٦ و ٨١ من الترجمة الفارسية لكتاب (المهدي في ثلاثة عشر قرناً) تأليف المستشرق الفرنسي الاستاذ (خاورشناس دارمستر) .

أكثر عملاً ، كما يقول الدكتور في مقدمته ولذلك فلا يمكننا التصديق بان هذه الفكرة وليدة الضغط الشديد الذي واجهته الشيعة من الحكومات القائمة ، ولا يسعنا أن نقول أن تأريخ الفكرة متأخر عن تاريخ الاسلام كما يحاوله الاستاذ .

والنتيجة المنطقية لما تقدم : ان فكرة الاصلاح المنتظر كانت مألوفة قبل مجيء الاسلام ، وان نبي المسلمين - إذا صححت أحاديث المهدي - أحد المبشرين بهذه الحركة الاصلاحية الموعودة ، وان كان أشدهم صلة بها ، وأكثرهم حباً لها ، من ناحية اخرى ، من حيث انها ثمرة كاملة لغرسه ، ونتيجة تامة لمقدماته .

أقول هذا ، لان دين الاسلام قد أحال أن يكون بعده دين جديد .

وإذا تطابقت هذه الأديان على التحدث بهذه الفكرة وإذا كانت مرتقبة عند امم الشرق وأمم الغرب كان الحديث عنها متواتراً يقيناً ، إذا صح للتواتر معنى يستمد عليه العقلاء^(١) وهل يجوز لنا أن نحكم على هذه الامم جميعاً

(١) التواتر شيوع في الخبر ، واستفاضة في نقله ، اذا ادت هذه الاستفاضة الى اليقين بصدق الخبر ، وأحال العقل تواطؤ المخبرين على الكذب فيه ؛ والعقلاء يعتقدون ان التواتر من أهم اسباب اليقين بالاشياء ، ويعتدون الخبر المتواتر من الضروريات التي يصدقها العقل بنظرته الاولى ، وإذا نظرنا أهم الوقائع في التأريخ وجدنا ان العلم بها انما يحصل لنا من الخبر المتواتر ، ولكن من الحق ان نشترط لحصول العلم من الخبر المتواتر شرطاً آخر وراء ما تقدم ، وهو ان يكون ذهن السامع خالياً من عقيدة أو شبهة تناقض الخبر ؛ ولذلك قد لا يحصل لنا العلم بواقعة من وقائع التأريخ ، وان كانت متواترة بين المؤرخين .

ومن امثلة ذلك تشكيك الدكتور طه حسين بوجود بعض الشخصيات الأدبية ، وان اصر على وجودها المؤرخون والواجب في مثل هذا أن ينظر الناقد مقدار قيمة تلك الشبهة أو العقيدة من البرهان العلمي .

انها تواطأت على الكذب ، هذا ما لا يقبله عقل ، ولا يحتمله عاقل ، ولم يشترط أحد في الخبر المتواتر أن يكون نبأً عن الماضي^(١) ولتكن هذه الفكرة موافقة لميول الناس العامة أو مخالفة لها ، لان موافقة الميول لا يمكن أن تجعل دليلاً على كذب فكرة أو صدقها ، ولا برهاناً على وضع الاحاديث فيها ، ولا يعد هذا من أساليب النقد العلمي ، إلا أن تكون للنقد موازين أخرى لا يعرفها العلم .

حديث الاصلاح المنتظر متواتر عند كثير من أهل الشرائع الأولى ، وأحاديث المهدي متواترة عن نبي الاسلام على السنة طوائف المسلمين ، وليس بعد هذا مساع لنقد أسانيد الروايات كما يحاوله الدكتور ؛ ويحاوله العلامة ابن خلدون من قبله ، لأن صحة السند لا تشترط في الاحاديث المتواترة ، هذا من الوجهة الفنية ، أما مخالفة هذه الأحاديث للعقل ، أو لهوى نفسي يسميه الدكتور أحمد أمين عقلاً فهو شيء نبحت عنه في الآتي القريب .

أقول : أحاديث المهدي متواترة عند فرق المسلمين ، لان الذين رووا هذه الاحاديث طوائف كثيرة من أئمة المنقول ، وحفاظ السنة ،

(١) يقول العلامة (علي بن ابي علي بن محمد الامدي) المتوفي سنة ٦٣١ هجرية في الجزء الثاني من كتابه (الاحكام في اصول الاحكام) ص ٤٤ « شرطت الشيعة وابن الراوندي وجود المعصوم في خبر المتواتر ، حتى لا يتفقوا على الكذب وهو باطل . . . » ومن حق الشيعة ان تسأل العلماء الذين يشهدون للامدي بالوثاقة ويصفونه بالتثبت عن مصدر هذه النسبة ، أي كتب الشيعة يشترط هذا الشرط ، وعن أي علمائهم ينقل ؛ انها نسبة كاذبة من دون ريب ، والشيعة تشترط وجود المعصوم في حجية الاجماع ، والاجماع غير الخبر المتواتر ، ولكن الامدي رحمه الله (أضاع ثقب الدعاء) كما يقول المثل الفارسي .

ودونها الاكثر منهم ، وأفردها كثير منهم بالتأليف ، وأشار الى مضامينها البعض الآخرون .

ويقول العلامة ابن خلدون في الفصل الذي عقده في الفاطمي المنتظر من مقدمته [اعلم ان في المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على عمر الاعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت . . .] وفي هذا القول شهادة صريحة بشهرة الفكرة بين المسلمين على عمر الاعصار وفيه إيحاء الى تواترها ، وان كان هذا الآيحاء من طرف خفي على ما يقول المتقدمون .

ولكنه يعرض في فصله لأحاديث الفكرة فيتناولها بالنقد ولا يسلم عنده من أسانيدھا إلا القليل ؛ كأن صحة السند تعتبر في الخبر المتواتر ؛ وكأنه أحاط بأخبار الفكرة جميعها ، فاذا نقدها فقد خلت الفكرة من الدليل ، ولو تتبع قليلا لعلم أن الفكرة أرفع من هذه المحاولات ، وإن أدلتها في غنى عن تصحيح الأسانيد ، وإلى القارئ قائمة صغيرة بعدد الاحاديث التي دونها الثقة من رجال المنقول والتي عرضت لي اثناء بحثي القصير .

أربعون حديثاً خرجها الحافظ أبو نعيم في كتابه (ذكر نعت المهدي) وقد رواها الاربلي في كتاب كشف الغمة بحذف الاسانيد .

ثمانية وثلاثون حديثاً ذكرها ابن خلدون في مقدمته لينقد أسانيدھا .

سبعون حديثاً خرجها الحافظ محمد بن يوسف الكنجي في كتاب البيان .

مائة وعشرة أحاديث رواها صاحب كتاب كشف المخفي في مناقب المهدي ، وجميع رواة هذه الاحاديث من رجال المذاهب الأربعة ولو أردنا

أن نضيف الى ما تقدم الاعداد الصغيرة التي يذكرها المحدثون في مختلف أبواب الحديث لأصبح العدد ضخماً جداً ، وأي معنى لتواتر الحديث إذا لم يكن منه هذا العدد الكبير^(١) .

ومن الحق أن نستثني من هذا العدد الاحاديث التي كررت بمتونها وأسانيدها ، ولست أظن أنها تتجاوز الثلاثين وقد جمع في كتاب غاية المرام من هذا العدد مائة وخمسة وستين حديثاً ، وأورد في كتاب ينابيع المودة ما يتجاوز المائتين ، ولنغمض عما ترويه الشيعة بطرقها الخاصة ؛ فان لهذه الروايات حساباً خاصاً وهذه الاحاديث وإن لم تشترك في لفظ واحد ، إلا أنها تعبر عن فكرة واحدة .

أما العلماء الذين شهدوا بتواتر الحديث عن الفكرة فهم كثيرون جداً ، وهذا جدول صغير باسماء بعضهم .

(١) الحافظ محمد بن يوسف الكنجي المتوفي سنة ٦٥٨ في كتاب البيان .

(٢) أبو الحسين الأبري على ما نقله ابن حجر في الصواعق ص ٩٩

(٣) السيد مؤمن الشبلنجي في كتاب نور الأبصار ص ٢٣١ .

(٤) زيني دحلان المتوفي سنة ١٣٠٤ في كتاب الفتوحات الاسلامية ص ٣٢٢ .

(٥) ونقله هو في هذه الصحيفة عن السيد محمد بن رسول البرزنجي

(١) لاحظنا في تعداد الاحاديث اختلاف المتن أو السند ولو ببعض الوسائط إذا كان هذا الاختلاف يصحح جعلها روايتين ، وقد رأينا الحافظ أبا نعيم يروي بعض الاحاديث بطرق كثيرة تتجاوز الخمسين طريقاً ويروي بعضها بشمانية طرق وبعضها عن جم غفير .

المتوفي سنة ١١٠٣ .

(٦) السيد جمال الدين عطاء الله ابن السيد فضل الله الشيرازي المتوفي سنة ١٠٠٠ نقله عن أكثر أهل الرواية .

(٧) أحمد بن محمد بن الصديق في رسالته ابراز الوهم المكنون .

(٨) الإمام الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠ في كتاب التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح ، وقد نقل التواتر عن هذين الأخيرين الدكتور أحمد أمين في المهدي والمهدوية .

ولو ألقى الدكتور نظرة بسيطة على صحيح البخاري ومسلم ، أو على بعض الكتب الأخرى التي تحدث عنها لعلم أن الامامين قد خرجا بعض الاحاديث في المهدي كما خرجها الآخرون ، ولما شهد لهما بالفخار في صحيفة ٤١ لانهما لم يرويا من هذه الاحاديث شيئاً .

فقد حدث الحافظ أحمد بن حجر الشافعي^(١) عن مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه ، والبيهقي ، وآخرين من علماء الحديث قول النبي (ص) (المهدي من عترتي ، من ولد فاطمة) .

وخرج مسلم في باب نزول عيسى حاكماً قول النبي (ص) « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » ونقل الكنجي الشافعي في كتاب البيان مثل هذا عن البخاري أيضاً ، وروى مسلم « لا تزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة ، قال فينزل عيسى بن مريم (ص) فيقول أميرهم تعالى صل لنا ، فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة » ، وخرج مسلم أحاديث الخليفة الذي

(١) انظر صحيفة ٩٧ من كتاب الصواعق المحرقة .

يحثو المال حثواً في آخر الزمان .

وإذا كان بعض هذه الاحاديث لا يحمل اسم المهدي فانه يذكر من صفاته ونعوته ما يرفع اللبس ويزيل التوهم .

والدكتور قد اعتمد في شهادته هذه على بحث العلامة ابن خلدون للموضوع ، لأنه لم يرو للامامين حديثاً صريحاً ، ونقد أحاديث مسلم في الخليفة الذي يحثو المال حثواً بانها لم يقع فيها تصريح بذكر المهدي ، ولا دليل يقوم على أنه هو المراد من هذا الخليفة .

ومن الاحصاء المتقدم نعلم مقدار الجهد الذي بذله ابن حجر لاحصاء روايات المهدي حين وجدها نحو الخمسين ، ونعلم ايضاً ان لفظة المهدي ولفظة المنتظر ليستا من مؤسسات الشيعة ، ولا من مخترعات المختار ابن ابي عبيد كما يراه الدكتور وهذا رأي قد لا يوافقه عليه ابن خلدون ، ولكن الدكتور يحاول ان يخضع الحقائق لرأيه الخاص ثم يعتذر عما يقول بانه من المؤرخين وان الفرق واضح بين باحث يبحث المسائل من حيث تاريخها ، وبين داع يخطب في تأييد مذهب أو نقده على أن التاريخ يأبى له هذا الاستنتاج أيضاً وسنبينه فيما بعد .

والناظر في الصحيفة المتقدمة من كتاب المهدي والمهدوية ، يقرأ فيها تهمة جريئة يوجهها الأستاذ الى حفاظ السنة وأكابر المنقول من رجال الصحاح والجوامع التي لا يختلف في توثيقها أهل السنة .

ولعل هذا النوع من اتهام كتب الحديث خطوة يخطوها الأستاذ الى التجدد الذي يذكره في بعض فصول الكتاب ، وان كان في خطوته هذه من المحافظين على ما يظهر لانه يشهد بالفخر للصحيحين .

وقد تسربت هذه الطريقة الفنية من النقد الى كثير من كتاب الجيل ،

وهم يقصدون بهذا تسهيل طريق الانكار إذا الجأهم الضرورة الى انكار بعض الحقائق .

وقد رأينا مثل هذه الطريقة للعلامة ابن خلدون في فصله المتقدم ، ولعل هذه الحرية في ابن خلدون هي التي حبيت الى الدكتور متابعته في كثير مما كتب حتى في هذه التفرقة البسيطة بين المؤرخ والداعي الخطيب ، والدكتور على ما يظهر شديد الاتصال بروح العلامة ابن خلدون ، وشدة الاتصال هذه تثمر وحدة في الرأي تسمى موافقة في الطبقة العالية من الادباء ، وتسمى تقليداً في الادباء الاخرين ، وكأن كتاب المقدمة هو المصدر الاول للدكتور ، حتى فيما ينسبه الى الشيعة من العقائد .

وخلاصة ما تقدم ان أحاديث المصلح المنتظر متواترة عند أهل الشرائع الأولى وأحاديث المهدي المنتظر متواترة بين فرق المسلمين كافة ، ومتواترة عند فرقة الشيعة خاصة .

وبعد هذا كله فان الشيعة الأثني عشرية لم تأخذ عقيدتها بوجود المهدي من هذه الاحاديث فقط ، وان كانت متواترة ، والتواتر من أهم أسباب اليقين .

ولكن الشيعة الأثني عشرية تعتقد بوجوده وبضرورة بقائه لأدلة قطعية اخرى وراء الاحاديث المتواترة ، وهذا ما نعرض له في الفصول اللاحقة .

المهدي في ديوان الخلفاء

يستوقفني الفكر طويلاً حين أريد الدخول الى بحث الإمامة ، وحين أحاول أن أضع بين يدي القارئ مفتاحه الأول ، فان لهذا البحث أكثر من مفتاح واحد .

لماذا اختصت الشيعة بالقول بالامامة ؟ ولماذا أصبحت الامامة علماً على هذه الطائفة دون اخواتها الاخرى من فرق المسلمين ؟ وهل يمكن لاحد من العقلاء وإن لم يكن من المسلمين أن ينكر وجوب نصب الإمام ! إذن فبماذا تحفظ الحقوق بين أفراد البشر ؟ وبماذا يرد ظلم الظالمين وعدوان العاديين ولماذا يهتم العقلاء بنصب الملوك والرؤساء ؟ .

الإمام سلطان ، والسلطان ضرورة من ضرورات الحياة ، والإمام وازع يتوقف عليه بقاء الاجتماع ، لا بد من وجوده ، ولا بد من نصبه إذا لم يكن موجوداً ، وهذا أمر يستحيل أن يقع الشك فيه من أحد .

واذن فخلافاً سائر المسلمين مع الشيعة إنما يكون في شؤون هذه الإمامة وفي شرائطها .

- من هو الإمام الذي يجب نصبه ؟ وماذا يجب أن تجتمع فيه من الشرائط ؟ .

- ومن الذي يتولى نصب هذا الإمام ؟ .

- وما الذي يتولاه الإمام من المهمات التي تحتاج اليها الأمة ؟ .

والناظر في علم الكلام والعقائد يرى ان هذه الاسئلة محبوكة متداخلة يظهر جواب بعضها من الجواب على البعض الآخر .

تقول الشيعة : الإمامة خلافة النبوة ، فيشترط فيها ما يشترط في النبوة .

عهدت الأمة من مؤسس الدين ملكاً لا كالمملوك ، ورئيساً لا كالرؤساء وعهدت من قرآنه نظاماً لا يشبه الانظمة .

عهدت من نبيها ملكاً يخضع الدنيا لسلطة الدين ، ويقيس الاعمال بميزان العقيدة ويكون من مجموع هذه الأشياء وحدة لا تقبل التجزئة والتفرق ، وعهدت من قرآنها نظاماً يهدف الى هذه الغاية بجميع موادها وفصوله وهو وراء هذا كله نظام معصوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

هكذا عهدت الأمة ملكها عند الصباح ، فيستحيل أن لا يكون كذلك عند المساء ؛ يجب أن تكون الرؤساء من لون واحد ، إذا كان القانون مستمراً على لون واحد لان تغيير منهاج السلطة في المدة القصيرة يحتاج الى تغيير كبير في نظام المملكة ، وهذا شيء لا تسوغه الشريعة ولا تسمح به العادة ، وقد يؤدي الى محاذير شديدة ، وعاقبة لا تحمد .

فيجب أن تكون للرئيس الثاني كل سلطة أو وظيفة ثبتت للرئيس الأول ، لأن النظام لم يفرد سلطة الدنيا عن سلطة الدين ، وهذا هو الجواب عن السؤال الأخير وإذا أجبنا عن هذا السؤال سهل علينا أن

نجيب عن بقية الأسئلة بعد استعراض صغير لمهام الرئيس الأول .

(١) علمنا أن الرئيس الأول مؤسس لشريعة إلهية يستفيدها من وحي السماء ، وهذه هي المهمة الوحيدة التي لا يصح أن يشاركه فيها أحد ، لأن نظام الشريعة قد حكم بانتهاء النبوات .

وإذا لم يكن الرئيس الثاني نبياً ؛ فانه حافظ شريعة وحارس نظام ، فيستحيل أن لا يكون عالماً بدقائق هذه الشريعة ، ومحتويات هذا النظام ، وكيف يستطيع أحد أن يكون حافظاً لما لا يعلم .

ولا يكفي لاداء هذه المهمة أن يعلم أحكام الشريعة بالاجتهاد أو بالتقليد ، لأن المجتهد لا تجب إطاعته على المجتهدين الآخرين ولا على مقلديهم ، والمقلد أقل منه في المنزلة ، وأخفض منه في المرتبة ، والإمام وأجب الاطاعة على جميع أفراد الأمة من غير استثناء .

ونتيجة هذا إن الرئيس الثاني يجب أن يكون عالماً بجميع أحكام الشريعة والقرآن ويجب أن يكون علمه هذا من غير طريق الاجتهاد أو التقليد .

ولست أقول ان هذا العلم الهامي ، فان الدكتور الجليل يستكثر على الله الذي أوحى الى النحلة ما تفعل وألهم النملة ما تترك وما تعمل ، يستكثر الأستاذ عليه أن يلهم بعض المقربين من أوليائه ما يصلح العباد من العلم وما يسددهم من العمل .

نعم ان الأستاذ يستكثر على هؤلاء المقربين ، أن يحتفظوا ببعض مخلفات الوحي من علوم المستقبل ، لأنهم يسمون الكتاب الذي يشتمل على هذه المخلفات جفراً ، وربما استكثر هذه الأنبياء على الوحي نفسه ، لانها غيب والنبى (ص) يقول « ما لي ولهم يسألونني عما لا أعلم وانما أنا

عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي « رأيت أجمل من هذه الدعوى ، وأشد مطابقة من هذا الدليل كأن الشيعة تدعي العلم لنيبها ولائمتها من غير تعليم الله .

أهكذا تنقد الحقائق أيها الاستاذ .

إلى هذا الحديث يستند الدكتور في قوله هذا ، وإلى الآية التي تقول : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾^(١) ولكنه يتناسى الآية الثانية التي تقول : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾^(٢)

وهذه النعمة قديمة سمعتها الشيعة منذ قرون ، وظنت أن المدنية الحديثة ستحدد منها بعض التحديد حين يرى الكتاب الناقدون ملوك الدنيا تعد أبناءها ليوم العرش بالثقافة الصحيحة ، وتؤسس لهم المعاهد العالية ، وإن البقية من الداء ستتحسم حين يدركون الفرق الفارق بين ملك يقود الأمة لصالح دنياها ، وإمام تطلب الأمة منه صلاح الدنيا والدين .

هذا ما أملتة الشيعة حين استهل عصر الحقائق ، وهذا ما تؤمله بعد أيضاً فهل للأيام أن تحقق لها هذه الامنية وهل للنقاد المحترمين أن ينظروا إلى الحقائق بغير المنظار الأول الذي خلقتة الأحقاد ؛ ولم تخلقه الأيام ، ليعيش المسلم إلى جنب المسلم أخاً بالمعنى الصحيح من الأخوة كما سماهم الله في كتابه ، وكما دعاهم إليه النبي في سنته .

هذا ما أوجهه إلى جمعية التقريب المحترمة ، وإلى عضوها الجليل سعادة الدكتور أحمد أمين ، وإلى كل غيور من حماة القرآن .

(١) سورة النمل ٦٥ . الكهف آية ٢٦ ، ٢٧

(٢) سورة الحن آية ٢٦ .

(٢) علمنا ان الرئيس الأول لهذه الأمة يحمل رسالة مقدسة إلهية وهو لهذه الرسالة ، يحتاج الى قوة عقلية كاملة تؤهله لأن يكون أميناً على عهد السماء ، وتعينه على أداء مهمته بالتبليغ ، وتسهل للمدعويين طريق القبول ، وتقطع عذر المعتذر وريب المرتاب ، وهذه القوة الكاملة في العقل النظري والعقل العملي هي العصمة^(١) .

ويسهل علينا التصديق بهذا القول إذا علمنا أن هذه الرسالة دين يريد الله تبليغه الى عامة البشر ، وناموس يجب أن تخضع له جميع الأمم والأجيال ، وفي ذلك ما فيه من المتاعب والمصاعب ، وفي البشر ما فيهم من المكابرة والتردد في أمثال هذه الدعوة ، وفي النفوس ما فيها من التعصب لعقيدة الآباء والعادات المألوفة ، وكيف يستطيع أن يستظهر على جميع هذه العقبات ، ويبلغ عهد الله كاملاً غير منقوص إذا لم تكن له تلك القوة . . . العصمة .

أقول : كيف يستطيع أن يستظهر على جميع هذه العقبات إذا لم يكن معصوماً .

(١) لان غير المعصوم قد يخل في التبليغ ، فيزيد في الرسالة أو ينقص ، عن عمد أو غير عمد .

(١) يقول المتكلمون : العصمة لطف من الله عز وجل يحصل للكاملين من أفراد البشر يمتنعون بها عن ارتكاب الجرائم عمداً ، ويرتفعون عن الوقوع بها خطأ ؛ وهذا التعريف يؤول الى القوة العقلية التي ذكرناها لتفسير العصمة ؛ ويقول الخلقيون في تعريف العدالة : هي ملكة نفسانية يحصل بسببها الاعتدال التام في جميع ملكات النفس وصفاتها ، وهذه الملكة تحصل من سيطرة العقل على جميع قوى الانسان ، وإذن فمبدأ العدالة قوة في العقل ، فاذا كانت هذه القوة في أسمى مراتبها سميت « عصمة » .

(٢) وكيف يثق الناس بدعوته مع هذا التجويز .

(٣) وكيف يصدقونه في رسالته إذا رأوا من فعله ما يناقض قوله ، والناس يقيسون أعمال الانسان بعضها على بعض ، وخصوصاً في هؤلاء المثاليين الذين يريدون أن يكونوا أدلاء للناس على الخير ، وقادتهم الى الهدى .

(٤) يمتنع أن يكون النبي غير معصوم ، لأن اتباعه وأجب على أفراد الأمة في كل ما يقول وفي كل ما يعمل ، ووجوب اتباعه هذا بحكم الكتاب وبحكم العقل ، فيكون صدور الخطايا منه سبباً لحصول التناقض في أحكام الله .

(٥) ولأن ارتكاب الجرائم يوجب له الفسق ؛ فيجب رد شهادته بحكم الكتاب .

هذا نموذج صغير من الأدلة التي تقيمها الشيعة على عصمة الأنبياء ، وما أكثر أدلتهم على ذلك ، وإذا بلغ إحصاء الأدلة على عصمة الإمام الى ألفي دليل^(١) فكم يبلغ إحصائها على عصمة النبي (ص) .

بهذا ويأمثاله يستدل الشيعة على ما يعتقدون ، والعقيدة إذا استندت الى أمثال هذه الحجج أصبحت يقينية لا تقبل التشكيك ، والحكم العقلي إذا كان يقينياً لزم أن يرد كل حديث يضاده ، وان تؤول كل آية يفهم منها ما يخالفه ، لأن اليقين لا يقابله أي دليل آخر لانه يكون معلوم الكذب .

هكذا يستدل الشيعة على عقيدتهم بعصمة الأنبياء ، أما الدكتور فانه

(١) أنظر كتاب الألفين للعلامة الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي المتوفي سنة ٧٢٦ للهجرة .

يستدل على عدم العصمة في النبي (ص) بالحديث الذي يقول : « توبوا الى ربكم فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة » والحديث الذي يقول : « انه ليغان على قلبي » .

أنظر بربك انظر ، ثم احكم ان استطعت الحكومة .

يقول الحديث الأول : إن النبي يتوب في اليوم مائة مرة ، والمعنى الظاهر من هذا انه يذنب في اليوم مائة ذنب ، ويقول الحديث الثاني : إنه ليغان على قلبه ، والغين إحاطة الرين بالقلب . . .

هذا شأن سيد الأنبياء في فكرة الحديثين أيها الأستاذ وهل يتصور هذا في غير المستهترين من الناس ، واذن فلا بد من تأويل الحديثين إذا صح سندهما ، ولا بد من ردهما إذا لم يكونا صحيحين .

ولو أردنا أن نستعرض هذا النوع من الروايات لوجدنا ألواناً عجيبة من التهم والجرائم الأخلاقية والاجتماعية تنسب الى الأنبياء الذين أئتمنهم الله على شرائعه ، وائتمنهم الخلق على هدايتهم .

وبعد فان عقيدة المسلم أرفع شأناً من أن تؤسس على أخبار آحاد مشوشة المعاني ، وهي وراء هذا الاضطراب مناقضة للبرهان .

لا بد أن يكون النبي منزهاً عن الآثام لما ذكرناه من الأدلة ، ولما لم نذكره ؛ وإذا امتنع عليه أن لا يكون معصوماً لأنه نبي ، وجب أن يكون الرئيس الثاني معصوماً أيضاً لأنه إمام ، والإمام محتضن الأمانة المقدسة التي أودعتها السماء بيد الأمين الأول .

لا أقول ان الامام يصبح نبياً كالرئيس الأول ، لأن النبوة قد ختمت بنص الكتاب ، ولكنني أقول : الإمام هو الأمين الثاني على الشريعة ، وهو

القائم على تبليغها بعد الرسول ؛ والشريعة تحتاج الى حافظ يقوم برعايتها في مرحلة البقاء والاستمرار ، كما تحتاج الى مبلغ يقوم بنشرها عند التأسيس ، وكلا هذين الحافظين يجب أن يكون تعيينه من قبل الله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، ﴾^(١) .

وإذا تماثل الرئيسان في المهمة وجب أن يكونا متكافئين في العصمة .

(١) لأن الامام واجب الاتباع بنص الكتاب ، وقطعي السنة فاذا لم يكن معصوماً جاز أن يأمر بما يخالف حكم الله ، فيكون ذلك تناقضاً بين أحكام الله .

(٢) ويكون الالتزام بطاعته سبباً لنقض الغرض .

(٣) ولأن غير المعصوم قد يخفى عليه كثير من الأحكام فلا يتمكن أن يكون حافظاً لأحكام الشريعة ، وقد كلفه الله بذلك .

(٤) ولأنه إذا جَوَّز على نفسه الخطأ في العمل أو في الاستتاج وجب عليه أن يتبع غيره لئلا يقع في الخطأ ، وإذا اتبع غيره سقط وجوب اتباعه على الناس ، لقوله تعالى : ﴿أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمَّن لا يهْدِي إلا أن يهْدِي فما لكم كيف تحكمون﴾^(٢) الإمام مرجع الأمة العام بعد موت نبيها . إليه ترجع إذا اختلفت ، ومن علمه تأخذ إذا جهلت ، والإمام مصدر الأمة فيما يتجدد من الأحكام التي لم يوضحها الكتاب ، ولم تبينها السنة .

فمن اللازم أن يكون هذا المصدر أعلم الأمة بدينها وأصدقها في القول والعمل والشرع الذي يعتبر في شاهد الدعوى أن يكون عدلاً ،

(٢) سورة يونس آية ٣٥ .

(١) سورة الحجر آية ٩ .

ويشترط في القاضي أن يكون نزيهاً ، أرفع من أن يأتمن على مقدرات الأمة خائناً يتحكم في نفوسها وأموالها بما يتأول من نصوص الكتاب ، وبما يفسر من متشابهات السنة نعم ان الشريعة أرفع شأناً من أن تأتمن مثل هذا على مقدرات الأمة ، ثم تأمرها بلزوم طاعته ، وتحذرهما أشد التحذير عن مخالفته وتحكم ان من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية «^(١) .

وسواء أكان وجوب نصب الامام حكماً عقلياً كما يقول بعض الحكماء ، أم كان سمعياً كما تقوله طائفة من المسلمين ، فان هذه النتيجة لا يجوز أن تختلف « ولا يمكن أن تتخلف .

هكذا شاء البرهان لهذه الأمة أن تعتقد ؛ وأن تجري على هذا الاعتقاد فيما تعمل ، وهكذا شاء لها القرآن أيضاً ، ولكن التاريخ شاء لها أن تختار ، وأن تكون غير معصومة في هذا الاختيار ، وأن تكون مخالفتها هذه سبباً لنتائج معقدة يدونها تأريخ المسلمين من حيث يجب ؛ أو من حيث يكره .

ولأعرض عن ذكر هذه المآسي التي قلبت تأريخ المسلمين الى يومهم الأخير وحكمت على جهود النبي ، وجهود المخلصين من أنصاره بعقم الانتاج ، لأعرض عنها فان الحديث شجي وشجون ، ولعل دموع القلم تجري قبل دموع الكاتب ، لأعرض عنها لأني لا أكتب في التأريخ ، ولا أود أن أكون من المؤرخين ، ولست في ضرورة الى تعليل هذه الكراهة .

من ههنا أتى المسلمون أيها الأستاذ ، لا من فكرة المهدي ، ومن هنا

(١) أنظر صحيح البخاري كتاب الفتن .

ابتدأ الخلل في صفوفهم ، وأي معنىً لخلل الصفوف غير اختلاف العقيدة .

وما الذي يضر بفكرة المهدي إذا اتخذ المغرضون منها آلة لدعاياتهم ؛ ونسجوا حولها خيوطاً من الآمال ، وما الذي يضر بهذه الفكرة إذا اتضح للناس بعد ذلك كذب الكاذبين وضلال الضالين .

لقد ادعى النبوة كثيرون في التاريخ ، ثم اتضح للناس كذبهم وضلالهم ، فلم يأخذ أحد من الناس هذا دليلاً على ابطال فكرة النبوة ، وقد جرى مثل هذا في الربوبية منذ القديم .

ولو أردنا أن نبطل كل حق يتشبه به المدعون الكاذبون لأبطلنا كل حقيقة موجودة .

... هذا هو المقياس الذي يبتكره الأستاذ في كتاب المهدي والمهدوية ، وهذا هو الدليل الذي يبني عليه إبطال فكرة المهدي ، والاصلاح المنتظر ...

لا ... لا ، أيها الأستاذ ، « ما هكذا تورديا سعد الابل » .

تخلف المسلمون يوم تخلفوا عما خطه لهم البرهان وحدده لهم القرآن ، وانحلت صفوفهم يوم ابتدأ الانحلال في عقيدتهم ، وكان من الضروري لهم أن يتراجعوا الى الوراء من ذلك العهد ، لولا حنكة في قادتهم الأول ، وثبات في بقية العقائد .

فكان الفضل لهؤلاء القادة في تحويل التأخر المحقق الى حركة بطيئة نحو الاتجاه الأول ؛ وكان الوقوف في آخر عهد الخلفاء الراشدين ، وكان التراجع الى الوراء بعد ذلك العهد .

من ههنا أتى المسلمون أيها الأستاذ ، ومن هنا ابتداءً الخلل في صفوفهم ؛ فهل تريد مني أن أقدم لك بعض أدلة الشيعة على أن الخيرة لله في تعيين الامام لا للأمة . . . ، اذن فاستمع :

(١) علمنا مما تقدم ان الإمام يجب أن يكون عالماً بجميع أحكام الشرع وأن يكون علمه بذلك من غير طريق الاجتهاد أو التقليد .

وعلمنا أن الإمام يجب أن تكون له قوة عاصمة ، يمتنع بها عن ارتكاب الأثام ، وعن الوقوع في الجرائم عن عمد أو غير عمد ، وهذان هما الشرطان الأساسيان في خلافة النبوة ولا يهمننا أن نثبت بقية الشرائط الأخرى في الإمام فان لها كتباً أخرى .

وكلا هذين الشرطين من الأمور التي تخفى على الأمة ، وعلى أهل الحل والعقد منها ، فكيف يصح أن يوكل إليها تعيين الامام .

(٢) كلنا نعلم اختلاف الأمة في شرائط الإمامة ، فإذا كان تعيين الامام بيدها ، كان من الضروري أن تختار كل جماعة من الأمة ما يوافق مذهبها في الامامة ولا تنزل لأخواتها عما تقول ، فيلزم اختلاف كلمة الأمة الى غير اجتماع ، وليس بعض هؤلاء الأئمة أحق بوجوب الاتباع من البعض الآخر ، فيؤدي الى إراقة الدماء الزكية .

(٣) وأخيراً الى استحالة الاختيار ، واستحالة الامامة اذا انحصر أمرها بالاختيار ، وفي النتائج السوداء التي وقعت في عهد علي ومعاوية ، وفي زمان الحسن والحسين ما يثبت وقوع ذلك وانه ليس مجرد فرض .

(٤) يمتنع في العادة أن يطلع جميع أفراد الأمة ، أو جميع أهل الحل والعقد من الأمة على اجتماع شرائط الامامة في واحد معين من افراد

المسلمين ، حتى إذا كانت هذه الشروط متحدة لا خلاف فيها بين الجميع لأن الاطلاع يحتاج الى معايشرة طويلة لذلك الشخص ، وهذا غير ميسور لجميع أفراد المختارين وخصوصاً إذا كثر عدد الأمة ، واختلفت بلادهم . وتخصيص الاختيار ببعض الأمة استيثار يقبحه العقل ، والشرع ، وتمنعه المصلحة العامة المشتركة .

(٥) علمنا أن غير الشيعة من فرق المسلمين تكفي بالعدالة في الإمام ولنفرض أن الشيعة وافقتهم على ذلك ليكون شرط العدالة اجماعياً بين المسلمين ، فهل يكفي هذا لاجتماع كلمتهم حين يختارون .

وهذا الاختلاف الكبير في معنى العدالة وفي شرائط وجودها ، ألا يكون حائلاً عن الاجتماع ، والوحدة في الاختيار .

نعم ان هذا الاختلاف من أعظم الموانع ، وكل من تتبع آراء المسلمين في تعريف العدالة ، يعلم مقدار البون الشاسع بين هذه المذاهب فلو رجع الاختيار الى الأمة لم يمكنها الاجتماع ، إلا أن يكون الحق لشيء آخر وراء العدالة والاختيار .

يستحيل على الأمة أن تختار ثم تجتمع على هذا الاختيار مع هذه الفوارق العظيمة بين الآراء والمذاهب إذا استثنينا الجهات الشخصية التي تجعل الاجتماع أكثر بعداً وأشد استحالة .

وإذا استفتينا تأريخ المسلمين الأول ؛ وجدنا السلف المتقدم لم يستطع أن يطبق نظام الاختيار بالمعنى الصحيح من التطبيق ، وحديث الفتنة التي وقى الله المسلمين شرها معروف عن الخليفة الثاني (رض)

يرويه المؤرخون والمحدثون على السواء^(١) .

ولعل هذه الاستحالة هي السبب الحقيقي لعدول الخليفة الأول (رض) عن الاختيار الى النص على من يخلفه من بعده .

أما الخليفة الثاني فقد جعل الأمر مزيجاً من النص والاختيار ، ولست أريد التوسع في هذه المباحث لأن هذا التوسيع بعدني كثيراً عن الغرض الأول .

فت العرب فكرة الشورى ، وتحكيم أهل الحل والعقد منذ القديم ، فكان من الصعب عليها أن تجنح لحكم البرهان ، وكان من الضروري لهم أن يطبقوا النظام القديم الموروث بما يمكنهم من التطبيق ، وخضعت طائفة أخرى من المسلمين لحكم البرهان هذا ، فكان من الضروري لهؤلاء أن يختاروا لأنفسهم ما اختاره الله لهم ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾^(١) . وكان من الضروري لهم أيضاً أن يسايروا الحكومة الرسمية القائمة حفظاً لدماء المسلمين أن تراق ، وصوناً لكلمة الأمة أن تتفرق ولصفوفها أن تحل ، والعقيدة هي العقيدة .

وهذا ما تسميه الشيعة (تقية) ، وقد سماها الله تقية حين شرعها في كتابه : ﴿ألا أن تتقوا منهم تقاة﴾^(٢) .

وبعد قرون وشؤون أصبحت حكومة البرهان حكومة سرية تعمل لتفريق كلمة المسلمين ، وأصبح الفريق الذي يعضده القرآن حزباً سياسياً يعارض الحكومة القائمة وعادت فكرة المهدي تعلقه بسبب يتعلل بها ضعفاء وترهم الحاضر فابتسموا للمستقبل ، وحرمتهم اليقظة فاستسلموا للخيال ،

(١) أنظر صحيح البخاري ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ٢٨ .

وكونوا مذهبهم من هذا الخوف ومن هذا الرجاء .

هذا هو رأي الدكتور أحمد أمين ، ورأي فريق كبير من أدباء النقد الصحيح ، والرأي الحر ، ومهما عشت أراك الدهر عجباً .

هذه قائمة أسماء الأئمة الاثني عشر ، وهذا تأريخهم الأحمر الباكي ، وهذا تأريخ شيعتهم المظلوم حتى من نواحي تاريخيته ، إقرأ جميع ذلك بامعان إذا استطعت أن تقرأ الحقائق الباكية .

إقرأ جميع ذلك ثم انظر : أي ثورة أقامها هذا الفريق ضد حكومة قائمة ، وأي حركة إرهابية تزعمها أحد هؤلاء الأئمة المظلومين ، إذا استثنينا الحركات التي وقعت على عهد علي والحسن ، والتأريخ يقول لنا أن هذه الحركات إنما كانت لقمع العدوان ضد الحكومة الشرعية القائمة كالحركات التأديبية التي وقعت على عهد الخليفة الأول .

أما نهضة الحسين ، وأظن أن هنا بيت القصيد ، فقد عدّها الدكتور من أهم الأحداث المتصلة بفكرة المهدي أما هذه النهضة فلم يكن الحسين يعترف ليزيد بحكومة ظاهرية ، وأي حكومة مستقرة يعترف بها الحسين ، وهو يرى العراق يرأسه بالبيعة ، والحجاز يتحفز للوثبة ، والجزيرة على مثل البركان ، وأقطار المسلمين الأخرى على ما يشبه هذا .

وكيف يستطيع الحسين أن يقف موقف المتفرج من هذه الأحداث ، وهو في العدد الأول من زعماء المسلمين وقد علم من خفايا يزيد ما علمه الآخرون من ظواهره ، وكيف يتركه المسلمون أن لا يعمل ، ومن الذي يعمل إن لم يكن الحسين هو ذلك العامل .

وأخيراً فقد قتل الحسين يوم الطف ، وكان مقتله بداية عهد جديد للشيعه ، وقد تلونت عقيدتهم بالدم ، وتشربت أعمالهم بالدموع ، ولكنهم

أخلدوا بأمر أئمتهم الى السكون وأحاديث الأئمة من أحفاد الحسين في تسكين الثورات القائمة والتنديد بالثائرين من أولاد الحسن والحسين كثيرة جداً ، إذا استثنينا حركة المختار ، وحركة زيد بن علي بن الحسين .

أما الذي يكون شوكة في جنب الدولة القائمة يهد من كيائها ، ويمز من عرشها فهو الظلم الذي اتصف به رؤساء هذه الدول ؛ واراقة الدماء التي عصمها الله في كتابه وهو نتيجة مباشرة للتعدي عما حده البرهان ، وأوضحه القرآن في معنى الامامة .

وأما الفرس فانهم لم يظهروا التشيع لنسب مشيخ بينهم وبين العلويين ، وقد كان بينهم وبين العباسيين نظير هذه القربى .

وكأن الأستاذ حين تعرضه لهذه الناحية قد نسي أنه من المؤرخين ، وأن التأريخ ينكر عليه هذه النتيجة . لأن الفرس لم يكونوا شيعة في بداية الأمر ولم تعرف العامة من الفارسيين مذهب أهل البيت إلا في عهد الإمام علي الرضا (ع) ، ولم ينتشر التشيع في أقطار فارس انتشاراً تاماً إلا في عهد السلطان محمد خدابنده المغولي ، وفي زمان العلامة الحلي^(١) لقصة يذكرها بعض المؤرخين في حوادث سنة ٧٠٧ من الهجرة .

وهذا التفويض الألهي الذي آمن به الفارسيون من زمان الأكاسرة ؛ وكان هو السبب في رضاهم عن أولاد فاطمة ، لم يفهم معناه ، ولا علاقته بمذهب الشيعة في الامامة لأن الشيعة يقولون بوجوب تعيين الامام من قبل الله على لسان النبي (ص) والفرس الذين يتشيعون يعتقدون بهذه العقيدة أيضاً ، وهذا يخالف معنى التفويض في الإمامة .

(١) الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الشهير بالعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ .

ولعل نظرية التفويض قريبة من معنى الاختيار الذي عليه غير الشيعة من المسلمين لأنهم يقولون : ان نصب الامام مفوض الى اختيار الأمة ، وتعيينها .

ولعل الأستاذ يعبر عن الفيض الالهي بالتفويض لانها يلتقيان بالاشتقاق الكبير .

وإذا كان الفارسيون يؤمنون بنظرية الفيض الالهي في الامام ، فاي نكر في هذا الاعتقاد إذا حتمه الدليل ، والفيض الالهي اصطلاح للفلاسفة يريدون به الوجود المعلول إذا حذف منه التعينات التي تسبب الكثرة ، ويسمونه أيضاً الفيض المقدس .

وقد يعبرون بالفيض الالهي عن الكمال في صفة من الصفات ، فاذا كان الرجل عالماً بارعاً قالوا ان الله خصه بفيض من عنايته ؛ ويريدون بهذا أن الانسان مفتقر الى عناية الله في كل ناحية من نواحيه ، وهذا المعنى هو المراد في الامامة ونحن إذا اشترطنا في الامام أن يكون معصوماً ، وأن يكون أعلم الأمة وأتقها وإذا اشترطنا أن يكون تعيينه من قبل الله تعالى ، كان ذلك اعترافاً منا بنظرية الفيض الالهي .

أليست جميع هذه الكمالات التي نشترطها في الامام فيضاً من فيض الله ، ونفحة من رحمته ، أليس الامام قبساً من نور الله يهتدي به الضالون ، وأي فائدة لامامته إذا فقدت منه هذه الخاصة .

وكان الدكتور يفهم من الفيض الالهي ، أو القبس الالهي معنى الحلول أو معنى الاتحاد اللذين تنكرهما الشيعة وتكفر من يعتقد بهما ، والدكتور يريد أن يكون حراً في التفسير كما هو حر في الرأي ، وإن كانت الحرية في التفسير محرمة على الناقد النزيه .

منعتنا الأدلة العقلية المتقدمة أن نصدق نظرية الاختيار في الامامة ،
وأحالت أن يكون للأمة حق في تعيين الامام .

والقرآن . . . ماذا يقول لنا القرآن في ذلك ، وهل أهمل القرآن
حكم الإمامة ، كما أهمل النبي أمر الإمام ، وهو الذي يأمر الناس بالوصية
حتى تبسط الاشياء .

ماذا يقول القرآن في أمر الإمامة .

لم يجعلها الله عهداً له في خطابه لابراهيم ، ألا تسمعه حين
يقول : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١) الإمامة عهد الله فلا
يتولاه أحد إلا بأمره ، والإمام أمين الله على هذا العهد فلا يعينه أحد
سواه .

وفي الآية الكريمة نظرات تتعلق بالامامة يذكرها المفسرون والمتكلمون
ويشير اليها أهل علم الحديث .

الأمامة عهد الله ، والإمام ولي ذلك العهد ، هكذا يقول لنا
القرآن ، وأي بيان أجمع لشرائط الامامة من هذا التعبير .

هل يمكن أن يعين الله لعهدده من لا يؤمن عثاره من الناس ، أو من
يجوز عليه أن يغير شيئاً من الاحكام أليس هذا من التناقض الصريح ،
وإذن فالإمام معصوم يستحيل عليه الخطأ .

وهل يجوز أن يأتمن على الأمة من لا يفي بحاجتها من العلم ، ولا
يقوم بتسديدها في العمل ، أليس هذا مفتاحاً للطعن في حكمته ،
وللتشكيك في عهدده ؛ وإذن فالامام أعلم الأمة وأتقاهها ، وأشدها صلة
بالله .

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

والآية الكريمة تجري في هذا البيان على نهج مألوف بين الناس فان الملوك طالما سمت الولاية من بعدها عهداً ، وسمت خلفاءها أولياء ذلك العهد ، أفتريد في أمر الامامة أوضح من هذا التعبير .

وقوله تعالى : ﴿أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾^(١) وهذه الآية الكريمة تفرض علينا وجود شرطين في الشخص الذي نتبعه .

(١) أن يهدي الى الحق ، فلا بد أن يكون عالماً بالحق ظاهره ومستوره .

(٢) أن لا يكون محتاجاً في هداية نفسه الى إرشاد غيره وهذا هو معنى العصمة ، والتسديد الالهي ، وهذان هما الشرطان الأساسيان في الامامة ، اللذان أثبتتهما الأدلة المتقدمة .

لم يهمل القرآن أمر الإمامة ، ولم يهمل النبي أمر الوصية ، ولكن الأمة تقول انها أهمل ذلك ، والتاريخ يساعد الأمة على ما تقول ، لأنه كتب بكف من أكف الأمة ، وهل يعقل أن يخالف التاريخ عقيدة المؤرخ ، وأرجو أن يكون اجتهاد أكابر الأمة خير عاذر لهم عن هذا القول الذي كان بذرة للخلاف بين المسلمين .

ما معنى إذهاب الرجس عن أهل البيت الذي شهد به القرآن ، وما معنى التطهير الذي حصره بهم دون غيرهم ، أليس هذا شهادة بالعصمة ؛ وترشياً للإمامة .

وما معنى هذا التقارن التام بين الثقلين الذي يشهد به النبي الأمين

(١) سورة يونس آية ٣٥ .

في حديث الثقلين حين يقول : « لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » ،
ويقول : « ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، » ، أليست هذه وصية بالاتباع
وشهادة بالعصمة .

وحديث الثقلين مستفيض بين علماء الحديث ، وقد رواه نيف
وعشرون صحابياً على ما يقول ابن حجر في الصواعق المحرقة .

العترة والكتاب ثقلان مقترنان ، والتمسك بهما حافظ للأمة عن
الوقوع في الضلال ، والعترة لا تفارق الكتاب حتى يردا على النبي
الحوض .

فإذا كان الكتاب معصوماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ، فلا بد أن تكون العترة نظيره في ذلك ، لأنها لن يفترقا حتى يردا
عليه الحوض ، فلو كانت العترة غير معصومة جاز عليها أن تخطيء فتفارق
الكتاب .

وإذا كان الكتاب محيطاً بعلم كل شيء ، وفيه تبيان كل شيء لأنه
يقول : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(١) فلا بد أن يكون الثقل الثاني
مثله في هذه الاحاطة ، لأنها لن يفترقا أبداً حتى يردا عليه الحوض .

وإذا كان الكتاب خالداً الى اليوم الأخير لأنه نظام الشريعة الخالدة ،
ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، فلا بد أن يكون قرينه من العترة باقياً الى اليوم
الأخير أيضاً لأنها لن يفترقا حتى يردا على النبي الحوض .

هذا ما يقوله النبي (ص) في هذا الحديث ، ولكن الأمة تقول ان
النبي أهمل الوصية ، والتأريخ يساعد الأمة على ما تقول .

(١) سورة الأنعام آية ٣٨ .

ولست أريد أن أمضي مع الحديث الى حد بعيد ، وأتعقب هذه النتائج التي يلقيها النبي الأمين ، ولست أريد أن أكرر قائمة أسماء الأئمة من أهل البيت ، قرناء الكتاب وأمناء الرسول ، فان لها كتباً أخرى وضعت في علم الكلام ومباحث العقائد .

ولكني أريد أن أقول : ان المهدي صفة لخاتم هؤلاء الأمناء الذين شهد لهم الكتاب بالتطهير ، وجعلهم النبي (ص) قرناء للكتاب ، فلا بد أن يكون موجوداً لأن العترة والكتاب لا يفترقان حتى يردا على النبي الحوض ، وليكن بعد ذلك ظاهراً أو مستوراً .

هؤلاء هم الأئمة من أهل البيت في رأي الكتاب ، وهؤلاء هم نجوم الاهتداء في رأي السنة ، وهؤلاء هم رجال العترة في رأي النبي الأمين حين يخلفهم في الأمة ، وحين يضمن للأمة عدم الضلال إذا تمسكت برشدهم .

أما أئمة أهل البيت في التاريخ فقد ذكرت لنا كتب الرجال والتراجم من عموم المسمين ، أنهم العابدون الزاهدون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وأما هؤلاء الأئمة في رأي محمد بن أدریس الشافعي فانه يقول :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت جبل الله وهو ولائهم كما قد أمرنا بالتمسك بالجبل

وأما هؤلاء الأئمة في رأي الدكتور أحمد أمين فانهم « يختفون عن الأعين ويرتكبون ما يرتكبون من الأثم » وان المأمون قد ولي علياً الرضا من

بعده « ليظهر للناس أن هؤلاء يعيشون على الوهم والخداع »^(١) أنظر بربك
انظر ثم احكم ان استطعت الحكومة . . .

من الحق أن أمسك عن التعليق هنا ، فان الذي لا يبالي بما يقول
يسهل عليه أن يقول كل شيء ، ولو طالبنا الدكتور ببينة ما يقول لأخرجناه
أشد الحرج .

ليرتكب الأئمة الاسماعيليون ما يرتكبون من الأثم وليدون التاريخ
لهم كثيراً من الجرائم ، وكثيراً من البذخ والاستيثار ، وليرتكب الدعاء
الفاطميون والقرامطة أمثال ذلك وأضعافه .

ليفرض جميع ذلك فهل يصح لعاقل أن يجعل هذا دليلاً على أن
الأئمة من أهل البيت يرتكبون الأثم ، ويعيشون على الخداع .

هذه أقيسة الدكتور التي يقيس بها الرجال ، وهذه موازينه التي
يستنتج بها التاريخ .

من الحق أن أمسك فقد أوعدت أن لا أعلق شيئاً على هذا ، وإن
سيرة الامام علي الرضا ، وسيرة الأئمة من آبائه وأبنائه التي يروها التاريخ
كفيلة برد هذا العدوان .

ولعل في ارتكاب الأئمة الاسماعيليين وظلمهم دليل جديد على
عصمة الأئمة الاثني عشر وتسديدهم ، لأن العصمة لم تدع لأحد من
الناس غير هذين الفريقين ، فإذا وجب وجود الإمام المعصوم بحكم
البرهان ودلالة القرآن وإذا انتفت العصمة من الاسماعيليين لأنهم يرتكبون
الآثام ثبتت للفريق الآخر لأن غير هذين الفريقين ليس معصوماً بالاجماع .

(١) أنظر صحيفة ٦١ من كتاب المهدي والمهدوية .

وقد تكرر في جوامع الحديث ذكر الخلفاء الاثني عشر من قريش ، وفي الصحيحين عدد غير قليل من هذه الاحاديث أيضاً ، كقوله (ص) في صحيح مسلم : « لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة . . . كلهم من قريش » وفي صحيح البخاري « يكون بعدي اثنا عشر أميراً ، وقال كلهم من قريش » .

والمتتبع يرى ارتباكاً شديداً بين شراح السنة في شرح هذه الاخبار ، وفي تطبيق هؤلاء الخلفاء الاثني عشر وربما التجأ بعض الشراح الى إدخال يزيد المستهتر ، والوليد الفاجر في ضمن هؤلاء الخلفاء الذين يكون الدين عزيزاً على عهدهم على ما في بعض حمل الحديث .

وهذا الباب الطويل الذي يعقده علماء الحديث في أن الأئمة من قريش ، وهذه الروايات الكثيرة التي تكرر هذا القول ، طالما وقف النقاد أيضاً عندها فطال منهم الوقوف ، ما معنى اختصاص الامامة بقريش إذا حصل غير القرشي على ثقة المسلمين ، وعلى العصية التي يشترطها ابن خلدون في الملك ، وما معنى تدخل الحديث في تعيين الامام إذا كان اختياره من حقوق الأمة وحدها ، وما معنى تمسك المهاجرين يوم الخلافة ببعض النصوص لحرمان الأنصار .

أليست هذه المميزات تحويراً في معنى الاختيار ، أليست هذه النصوص توضح للأمة ان وجه المصلحة قد يخفى عليها .

يعين النبي الامامة في المهاجرين دون الأنصار ، وفي قريش دون سائر المسلمين ، ليرفع الاختلاف من الأمة على قريش ، ثم لا يهجم أن يقع الاختلاف بين المهاجرين من قريش بعد هذا الترشيح ، وهذا الاغراء ، وقريش هي قريش التي لم تخضع للإسلام إلا بعد عناء وبلاء ،

والأمة هي الأمة في مذاهبها وآرائها ، ونبي المسلمين هو نبيهم في عطفه ورأفته عليهم ، وموقف الموتورين من قبل الاسلام وهو موقفهم في غموضه واضطرابه .

لم يهمل النبي أمر الوصية ، ولكن الأمة تقول انه قد أهمل ، والتاريخ يساعدها على ما تقول ، لأنه كتب بكف من أكف الأمة .

ترك النبي خليفتين لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض وشهد القرآن لكل واحد من هذين الخليفتين بالعصمة والتسديد ، وهذا هو المبدأ الحقيقي لفكرة المهدي .

فكرة المهدي نشأت من القول بضرورة وجود إمام معصوم في كل جيل حافظ للشريعة ، وقرين للكتاب .

وفي الخاتمة من سجل الخلفاء الاثني عشر ، وفي العدد الأخير من قائمة أسمائهم يقع اسم الامام المهدي المنتظر .

وإذا حتم الدليل وجوده وبقائه لأنه الفرد الأخير من قرناء الكتاب ، وإذا أثبت القرآن عصمته وإمامته لأن البقية الباقية من أهل آية التطهير ، فليكن مستوراً إذا أوجبت عليه الظروف أن يستتر ، فان الاختفاء لا يضر بشأن من شؤونه ، إذا كان غيره سبب هذا الاختفاء ، كما لا يضر بالشمس سترها من وراء السحاب .

مع الناقدین

لبست فكرة المهدي أشكالاً متنوعة من البحث ، ومرت عليها ألوان مختلفة من الجرح والتعديل ، وأولها الباحثون على اختلافهم مزيداً من الاهتمام ؛ وكثيراً من العناية ، تفنن الناقدون لها في النقد ، والمؤيدون لها في التأييد ، واستخدموا في نقدها وفي تأييدها الأدب المنظوم والمثور وأن أساء الأدب كثير من أولئك في نقدهم ، فكان من الضروري أن يقابلهم هؤلاء بالمثل .

ولو جمعت هذه المناقضات لكانت مجموعة نادرة من وحي التناقض في العقيدة يضحك لها الأدب ، وبأسف لها الاسلام ويبكي لها نبي الاسلام .

وفي آخر من جاء من نقاد هذه الفكرة سعادة الدكتور أحمد أمين ، والدكتور مؤلف كبير حين يكتب في التأريخ ، وهو أديب ماهر حين يترجم أو ينقل ، إذا كان في الترجمة والنقل ما يسمى أدباً ، ولكن الدكتور يفقد معنويته حين يحاول أن يكون من الناقدین .

هذا ما توسمته في الدكتور أول يوم رأيته فيه ناقداً وقد ضمنت لي

القراءات المتتابعة صحة هذا التوسم ، وكأن الدكتور تعوزه الحاسة الدقيقة التي تعين له المفصل من الرأي ليقع الضربة الفاصلة ، وهذا أهم ما يحتاج اليه الناقدون .

والحق أني لم ألق كبير عناء في نقد آراء الاستاذ في كتاب المهدي والمهدوية ؛ لأن مواضع الخلل فيها ظاهرة جداً ، وقد رأى القارئ كثيراً من هذه الآراء في الابحاث المتقدمة ؛ وعلم مبلغها من العلم ، وسيقف على البقية منها في بقية الكتاب .

ونحن يمكننا أن نصنف النقود التي يذكرها الدكتور الى صنفين :

الصنف الأول النقود التي تتعلق بنفس الفكرة .

الصنف الثاني النقود التي تتعلق بشؤون الفكرة ؛ وأدوارها في التاريخ والمذاهب ، والصنف الأول هو الذي عقدنا له هذا الفصل ، وسيكون الصنف الثاني موضوع بحثنا الآتي .

يشيد الاستاذ بذكر العقل ، ويؤمن بحكومته أشد الايمان ، ويجعل له الحكومة الفاضلة في رد الحديث ونقده ويدعو الى تحكيمه في فكرة المهدي ، وفي الأحاديث التي نقلت في المهدي ؛ وهو بهذه الفكرة من المنصفين ، ونحن نرحب بقوله هذا ونؤيده أتم التأييد ، على أن يكون معنى العقل الذي تجعل له الحكومة هو البرهان الصحيح الذي لا ينتفض ولا يمكن أن تتخلف له نتيجة .

ولذلك وجب علينا تأويل كل آية دلت بظاهاها على تجسيم الله ، وتشبيهه حين قام البرهان العقلي على استحالة ذلك ، ونبذنا كل رواية ناقضت هذه العقيدة وإن كانت مروية في الصحيحين .

ولذلك أيضاً أولنا كل رواية أو حديث دل على نفي العصمة عن الأنبياء والأئمة ، ورددنا كل حديث لا يمكن فيه التأويل حين اضطرنا البرهان الى القول بعصمتهم .

والسر في ذلك ان البرهان يقيني ، ونتيجته لا تقبل التشكيك ، ولا يمكن فيها الانتقاض ، ولا قيمة للدليل إذا كان اليقين على خلافه لانه يكون معلوم الكذب ، أما الآيات فيجب تأويلها لأنها لا تخالف المعقول ، وهذا شيء لا أظن أن يقع فيه خلاف من أحد .

أما إذا فسر العقل الذي يدعونا الدكتور الى تحكيمه بمشتميات النفوس ، وموافقة الميول ، فلا يؤمن بحكمه منصف ولا يلتفت اليه عاقل ، لأن هذه الميول متنوعة مختلفة ، وليس نفس ميولها ومآلوفاتها ، ومن الجور أن نطلب من الدليل الواحد أن يوافق جميع هذه الميول ، وتخصيص ميول الدكتور دون غيره استيثار يمنع هو في كتابه الأخلاق .

من المضحك جداً أن نجعل موافقة الميول والمآلوفات ميزاناً في جرح الأخبار وتعديلها ، والدكتور حين يدعونا الى ذلك فهو يذكرنا عهد الطفولة الحبيب ، حين كنا ننكر كل خبر يخالف مآلوفاتنا ، لا يعقل أن يكون في الدنيا ماء اجاج ، لأن الفرات يفيض بالماء العذب .

وكيف يعقل أن يتطاير الماء شرراً إذا تلاطمت أمواجه في الوقت المظلم .

وكيف يعقل أن يجري الماء على اتجاهين متعاكسين ثم يزيد وينقص لأننا نرى الفرات يجري على اتجاه واحد وهو لا يزيد ولا ينقص إلا في أيام الزيادة .

إذن فكل ما يحدثنا به أصدقاؤنا من أخبار البحر المالح وأمواجه

الملاطمة في الليل ، وعن المد والجزر فيه باطل لانه يخالف المعقول .
بهذا الميزان كنا ننقد الأخبار ، فهل يطلب الدكتور تجديد ذلك
العهد والعودة الى هذه المقاييس .

وأذكر أن بعض أصدقائنا قد احتفظ بهذه المقاييس الجميلة حتى
تجاوز الأربعين فهو يقول عن الهاتف (التليفون) هو آلة سحرية ، لأنه
يستحيل أن ينتقل الكلام من مكان الى مكان بواسطة سلك غير أجوف .

ولما أخبرناه عن المذيع ضحك من عقولنا كثيراً وقال هو أشد
استحالة من الهاتف لانكم تقولون انه بغير سلك ، الهاتف والمذيع
والحاكي ، وكل ما يشبه هذه الآلات سحر من عمل ساحر واحد ولكنكم
لا تفقهون .

من المضحك جداً أن نحكم هذه المقاييس الناشئة من ضيق النظر
وقلة الاحاطة من المضحك جداً أن نحكمها في أخبار الثقة المأمونين ، أو
العقائد التي يؤسسها البرهان واذن فلنستعرض النقود التي يوجهها الاستاذ
الى فكرة المهدي ليتضح لنا مخالفة الفكرة للعقل .

أحاديث المهدي تخالف العقل فيلزم ردها لأن هذه الفكرة تبني :

(١) على عصمة الإمام ؛ وأي امام معصوم .

وهذا نقد يوجهه الاستاذ الى القرآن الذي شرط العصمة في الإمام ،
وشهد للأئمة من أهل البيت بالتطهير ، وأذهب الرجس ، والى حديث
الثقلين وأمثاله من صحيح السنة ، وقد أسلفنا الكلام على ذلك فلا
نعیده .

(٢) يعيش مئات السنين .

وهذا نقد ثان يوجهه الدكتور الى القرآن أيضاً ، لأنه يجبر عما يخالف الطبيعة في عمر نوح النبي فيقول : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾^(١) ، ولم يحدثنا عن عمره قبل أن يرسل نبياً ، وكم بلغ عمره بعد الطوفان الى حين وفاته .

ونجبرنا أيضاً عما يخالف المؤلف في عمر ابليس ، لأنه ينبيء عن وجوده قبل خلق الانسان الأول ، ويقول عنه انه ﴿من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾^(٢) .

ونجبرنا بنظير ذلك عن المسيح أيضاً ، لانه يقول : ﴿وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾^(٣) .

لا بد أن يؤمن جميع أهل الكتاب بالمسيح قبل موته واذن فالمسيح لم يمت ولم يقتل والآية الاخرى : ﴿اني متوفيك ورافعك إلي﴾^(٤) تجري على ضرب من المجاز والتشبيه .

وفي الأحاديث والتأريخ قصص نادرة للمعمرين ، والأستاذ قد قرأها مراراً لأنه من المؤرخين .

وقصة لقمان بن عاد الذي عاش عمر سبعة نسور معروفة عند المؤرخين ، وقول العرب : طال الأبد على لبد من الأمثال السائرة عندهم ، وكذلك قول النابغة :

أخى عليها الذي أخنى على لبد

ولبد هو آخر النسور السبعة التي عاش عمرها لقمان هذا ، وفيه

(٢) سورة الحجر الآيات ٣٧، ٣٨ .

(١) سورة العنكبوت آية ١٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ٥٥ .

(٣) سورة النساء الآيات ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩ .

يقول الأعشى :

وأنت الذي ألهيت قبلاً بكأسه
لنفسك إذ تختار سبعة أنسر
فعمر حتى خال ان نسوره
وقال لأدناهنّ إذ حلّ ريشه
ولقمان إذ خبرت لقمان في العمر
إذا مضى نسر خسلوت الى نسر
خلود وهل تبقى النفوس على الدهر
هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدري

وفيه يقول لبيد :

ولقد جرى لبد فأدرك جريه
لما رأى لبد النسور تطايرت
من تحته لقمان يرجو نهضة
ريب المنون وكان غير مثقل
رفع القوادم كالفقير الأعزل
ولقد يرى لقمان ان لا بأتلي

وناهيك بعمر سبعة نسور ، والنسر من أطول الحيوانات عمراً وأقلّ
ما قاله المؤرخون عن لقمان هذا انه قد بلغ خمسمائة وستين سنة وقيل
أضعاف ذلك .

وقول المؤرخين عن قس بن ساعدة الأيادي انه عاش سبعمائة سنة
معروف وقيل أقل من ذلك .

والذين عاشوا بين الثلاثمائة والأربعمائة كثيرون في التاريخ . فمن
هؤلاء الربيع بن ضبيع الفزاري الذي يقول :

أصبح مني الشباب قد حسرا
ها أنا ذا آمل الخلود وقد
إن يئأ عني فقد ثوى عصرا
أدرك عقلي ومولدي حجرا^(١)

(١) يعني به حجراً الكندي أبا امرئ القيس ، أنظر كتاب بلوغ الأرب ج ٣ ص
١٦٦ .

وهو الذي يقول لعبد الملك بن مروان في أيام خلافته عشت مائتي سنة في فترة عيسى (عليه السلام) ، وعشرين ومائة في الجاهلية ، وستين في الاسلام وقصته معروفة .

ومنهم دويد بن زيد بن نهد الذي يقول :

ألقي عليّ الدهر رجلاً ويداً والدهر ما أصلح يوماً أفسداً
يصلح ما أفسده اليوم غداً
وقد بلغ من العمر أربعمائة وستاً وخمسين سنة على ما يذكره المؤرخون^(١) .

ومنهم عبد المسيح بن بقبلة الغساني الذي يقول :

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني ولم أحفل بمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود
وقد عاش ثلاثمائة وخمسين عاماً^(٢) .

ومنهم أكثم بن صيفي بن رباح الأسدي أحد حكام العرب المشهورين وقد عاش ثلاثمائة وثمانين سنة ، ومنهم الحارث بن مضاض الجرهمي الذي يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر

(١) أنظر ص ١٧١ ج ١ من أمالي السيد المرتضى .

(٢) أنظر ص ١٨٨ من المصدر المتقدم .

وقد عاش أربعمئة سنة ، ومنهم عمرو بن جمعة الدوسي الذي
يقول :

ثلاث مئين قد مررن كواملاً وها أنا هذا أرتجي مر أربع
فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تطياراً يقال له قع
أخبر أخبار القرون التي مضت ولا بد يوماً أن يطار بمصرعي

وقد بلغ ما يرجوه فقد مرّت عليه أربعمئة سنة على ما يقول بعض
المؤرخين ، ويقول بعضهم ان هذه الأبيات لعامر بن الظرب العدواني وقد
بلغ الثلاثمئة .

ومنهم المستوغر عمر بن ربيعة بن كعب الذي يقول .:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مئة أتت من بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي الآ كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدوننا

وقد بلغ من العمر ثلاثمئة وعشرين عاماً وقيل أكثر من ذلك^(١) .

وما أكثر المعمرين في التاريخ ، وقد قرأ الدكتور أخبارهم مراراً لأنه
من المؤرخين والأحاديث عن عمر الدجال مثبتة في الصحاح من جوامع
الحديث ، وقد روى مسلم بعض هذه الأحاديث في كتاب الفتن من
صحيحه ، وأحاديث الخضر مشهورة بين المسلمين وان ظهر التشكيك فيها
من الدكتور في ص ١١٢ من كتاب المهدي والمهدوية .

(١) ص ١٦٩ من نفس المصدر .

هذا حكم القرآن والتاريخ في نقض رأي الأستاذ الجليل ، أما العلم الحديث فقد أثبت امكان تعمير الانسان ألوفاً من السنين كما تعمّر الأشجار ، وقد أجرى العلماء تجارب كثيرة لتحقيق هذه النتيجة ، وقد أثبتت التجارب صحتها ، فقد بقيت أجزاء الحيوان بعد انفصالها حية نامية واستمرت على حياتها ونموها مدة طويلة من السنين ، لا تصل اليها بحسب العادة ، وكانوا يتعاهدون هذه الأجزاء بالأغذية المناسبة ، وأجريت نظائر هذه التجارب في أعضاء الانسان وقلبه ، وكليتيه ، فكانت حية نامية ما دام الغذاء موفوراً لها .

وفي مجلة المقتطف كلمة مفصلة عن هذه التجارب ، وهذه النتيجة يجدها القارئ في العدد الثالث من سنتها التاسعة والخمسين .

وبعد هذا فهل الدكتور الجليل لا يزال مصراً على أن طول العمر شيء يخالف العقل وهل تصدق معي أن الدكتور في رأيه هذا يميلنا الى مقاييس الأطفال ، وان بلغ ما بلغ من العلم ، ورحم الله ذلك الصديق القديم .

يقول الأستاذ :

(٣) وأصبح لا يجوز على العقول إمام مختلف .

وهذا نوع جديد من النقد ، يؤسسه الأستاذ على رأي جديد في الإمامة ، يضيف الى شرائط الإمامة شرطاً جديداً لم يقل به أحد من المسلمين ، ويفرض هذا الشرط فرضاً على جميع العقول ، ثم يؤسس نقده على هذا الرأي المفروض .

يشترط الدكتور في الإمام أن يكون ظاهراً غير مستور ويرى أن هذا

الحكم يجب أن يكون اجماعياً تخضع له جميع العقول لأن الذي يفرضه هو الدكتور أحمد أمين ، ولذلك كان الاختفاء من الامام مخلا بامامته ، وأصبح لا يجوز على العقول إمام مختلف ، وما أجدرنا بالسكوت عن أمثال هذه الأقيسة لو لم يكن الكاتب هو الدكتور أحمد أمين ، والدكتور من الأدباء النابهين الذين يحسب النشء لأرائهم ألف حساب والذين يستقون من علمه في العراق وفي الأقطار العربية والمسلمة أضعاف تلاميذه في مصر ومن لهؤلاء القراء المتفاوتين في المدارك أن يعلموا ان الأستاذ يتجنى على الشيعة في هذا النقد ويجني على العقول بهذا الفرض والأستاذ نفسه يعترف بانه ليس من المعصومين ، يحاول الدكتور أن يجعل شرائط الإمامة أعظم من شرائط النبوة فهل سمعت باعجب من هذا وقد قلت أن الأستاذ يفقد معنويته إذا حاول أن يكون من الناقدين فكيف إذا حاول أن يكون مبتكراً وناقداً في وقت واحد .

الإمامة نيابة عامة عن النبوة فلا يعقل أن تكون شرائطها أعظم من شرائط النبوة ، ولم يذهب الى هذا أحد من المسلمين ، والشيعة الذين يقولون ان الإمامة منصب إلهي لا يشترطون في الامام أكثر مما يشترطون في النبي والأستاذ يعلم ذلك جيداً لأنه مؤرخ كبير ، والمذاهب والآراء تشكل جزءاً مهماً من أجزاء التاريخ .

وبعد فلماذا لا يجوز للإمام أن يختفي إذا قضت المصلحة له بالاختفاء كما جاز للأنبياء أن تحتجب إذا أوجبت المصلحة عليهم الاحتجاب .

وقد حدثنا القرآن عن غيبة موسى عن قومه أربعين ليلة ، واحتجاب يونس مدة اختلف فيها المفسرون ، وقرأنا في سيرة النبي اختفائه في الغار

ثلاثة أيام ، وقبله في الشعب ثلاث سنين ، وحدثنا التاريخ عن الأنبياء السابقين بأمثال ذلك ، وقد يفرق الأستاذ في الغيبة بين طول المدة وقصرها ، وهذه التفرقة لا ينبغي أن يفكر بها الأستاذ إذا كان السبب للغيبة هو اقتضاء المصلحة ، والمصلحة التي تكون سبباً للاحتجاج مدة قصيرة قد تكون سبباً للاحتجاج مدة طويلة ، وقد سمعنا حديث القرآن عن غيبة المسيح ، وغيبة المسيح هذه تزيد على غيبة المهدي بتسعة قرون .

ولماذا لا يجوز للامام أن يحتجب إذا ألبأته الأمة الى الاحتجاج بنفسه ، كما ألبأته الى الاحتجاج بمذهبهم .

لماذا لا يجوز له أن يحتجب إذا رأى الظالمين تفتش عنه البيوت ، وتتطلب له الغوائل .

لماذا لا يجوز له أن يحتجب حقناً لدمه أن يطل ، وحفظاً لدعوته أن تستأصل .

وأى عقل يجرم عليه الفرار من ظلم الظالمين وجور الجائرين .

ولأى سبب معقول يجرم عليه تأجيل دعوته الى غد إذا استحال عليه أن يبلغها اليوم

العقول تحرم على المظلوم أن يقدم نفسه لقمة سائغة لاعدائه يستبيحون دمه ويستحلون حرمة .

والعقول تحتم على صاحب المبدأ أن ينتظر الفرصة المناسبة لنشر مبدئه وبث دعوته ، بهذا تحكم العقول أيها الأستاذ ، وعلى هذا تتفق .

وكلنا نعلم ما لقي أهل البيت من الجور والتشريد ، وما لقي أتباعهم من القتل والتعذيب ، ألا يكون هذا مسوغاً لبقية العترة أن

يحتج حَقناً لدمه في الحاضر ؛ وتمهيداً لدعوته في المستقبل ، على أن كل نهضة يجب أن يتقدمها تجمع ، وكل ثورة يجب أن يسبقها سكون ، وقد علمنا ان الأسد يتحفز ثم يثب ، وان البركان يتجمع ثم يشور ، هذه سنة الطبيعة ، وهذه سنة العقول أيضاً ولن نجد لسنة الله تبديلاً ، وكلما ازدادت الحركة أهمية ، وكلما كبرت النهضة شأناً ، وجب أن يكون التريث قبلها أكثر ، وان يكون التجمع لها أشد ، فكيف اذا كان الناهض يريد أن يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً ، وهل يمكن أن تملأ الأرض عدلاً إذا لم تكن نفوس البشر عامة مستعدة لقبول هذا العدل وهل يمكن هذا إلا بعد رقي البشر في معارفهم وعلومهم ، وهذا يحتاج الى مضي أزمان ، لا بد للناهض أن ينتظر الوقت المناسب لنهضته ، ولا بد للدكتور أن يصدق بهذه الفكرة ، لاني أعلم أنه من المتفائلين للعالم بالصلاح وهل يحيل على العالم أن يصل الى الذروة في العدل الخلقى كما وصل الى الذروة في العلم المادي .

انا اعيد الدكتور من هذه النظرة لانها نظرة المشائمين .

(٤) يخرج في زمان قد حدد .

ولست اظلم الدكتور اذا قلت : انه في نقده هذا لم يكن من المنصفين . لأن الشيعة لا تحدد زماناً لخروج امامها الثاني عشر ، وهي تكذب قول من يدعي التحديد لذلك الزمان ، ولا تعني باليازرجات وحساب الجمل وأمثالها ؛ وكتبهم شاهدة على ما أقول .

ومن المضحك جداً ما نقله الاستاذ عن ابن خلدون : ان بعض الناس - وهذا البعض من الشيعة بالطبع - كانوا يحسبون خروج الامام بحساب الجمل ، فيحددون زمان خروجه ، فاذا جاء هذا الوقت ولم يخرج ادعوا ان هذا التاريخ تأريخ ولادته لا تاريخ خروجه .

فهل يسمح لي الدكتور ان اقول له : ان نقل هذه الحكايات من قلة الثبت ، وإلا فاي فرد من افراد الشيعة يشك في ولادة المهدي ليصح منه هذا القول ، واذن فهذا القول من التهم التي يلصقها بالشيعة ، ولست اريد ان اتعقب كل كلمة من هذا القبيل فان للهزل كتباً اخرى ، ولا حصاء الكذب اناساً آخرين .

(٥) وهو في استثاره يحرك اتباعه ليزيلوا المظالم

وهذا النقد أيضاً يجب ان نضعه في القائمة السابقة التي افترت على الشيعة ، وبعد فهل صدقت معي ان الشيعة مظلومون حتى في نواحي التأريخ ؛ لا تقول الشيعة ان الامام يحرك اتباعه ليزيلوا المظالم ، وهو يدهم من وراء الغيب ، ولو صح هذا لم يجراً الدكتور ان يلصق بهم امثال هذه التهم ، ولكن الشيعة تقول وتبرهن على ما تقول انه سيخرج عند أول فرصة ممكنة للخروج فيزيل المظالم ؛ وقيم العدل ، ويطبق الشريعة بالمعنى الصحيح من التطبيق .

والدكتور يفترض عالماً غير عالمنا المحسوس ، وناساً غير ناسنا الموجودين فيقول : انما الطريق الطبيعي هو ظهور مصلح اجتماعي يشعر الناس بالالم من الظلم ، والطموح الى العدل ، فيضطهد ويعذب ، ولا يزال اتباعه يكثرون ، وكلما عذب امام الناس ازدادت دعوته قبولاً حتى يقوى فيزيل المظلمة أو المظالم التي دعا الى إزالتها ؛ ويحل الصالح محل الفاسد .

ولكن الاستاذ فانه ان الأقوياء قد تستعمل مع المصلح طريقاً اقصر من التعذيب فهل في استطاعة الدكتور ان يضمن للمصلح حياته من الاقوياء حتى يكثّر اتباعه وينتثرون ويملا الأرض قسطاً وعدلاً .

لست اظن ان الدكتور يجراً على هذا الضمان .
هذه هي النقود التي يوجهها الى فكرة المهدي . أما بقية الاشياء التي
يعلقها على هذه الفكرة فلا اتعرض لها بشيء لاني لا أود أن احط من قيمة
استاذ كبير .

المهدوية في التاريخ

أراني أمام حقيقة لاذعة ، يسوقني اليها البحث في هذا الموضوع ، وأراني مضطراً الى الجهر بها وان أساءت الدكتور حفظه الله ، وأسأت كثيراً من أصدقائه المخلصين وفي مقدمتهم صديقه الجديد محمد أمين زين الدين .

لست أكشف مستوراً ولكني أكره أن أحرر كل شيء ، ولكن ما الحيلة إذا أجباني الأستاذ أن أقول ، وماذا أصنع إذا اضطرني الحق أن أجهر ، وهل بإمكانني أن أغضب الحق لأرضي أحمد أمين أو محمد أمين ، أو أسكت عن الحق فأكون شيطاناً أحرص كما يقول الحديث ، وكما يقول العقل ايضاً .

ليس بإمكانني ذلك ولا بإمكان كل كاتب يتحرى الحقائق وإذن فلأقل ما شاء لي الحق أن أقول ، وليغضب من يغضب ، وليرض من يرضى .

علم كل باحث في الملل والنحل ان الشيعة تشتمل على فرق متكثرة تتباين في العقيدة وتختلف في المذاهب والآراء وان اجتمعت على تقديم علي

على غيره من الخلفاء ، وأضاف المفترون اليها فرقاً خيالية موهومة لم يعرف لها الواقع اسماً ولم يعين لها الزمان مسمى ، ولكن كتب الملل والنحل تذكر هذه الفرق ، وتدوّن لها آراء ومعتقدات ، وتعين لها زعماء ومؤسسين ، ولد بعضهم الخيال ولم يلد التاريخ ، وسواء أصح هذا أم لم يصح ؛ فقد أصبحت الشيعة عند هؤلاء فرقاً كثيرة العدد والأقوال وعلم كل باحث في المذاهب هذه الكثرة في فرق الشيعة ، وهذا التباين بين معتقداتها ، ولكن سعادة الدكتور يأبى له تتبعه إلا أن يجمع الشيعة على صعيد واحد ويخاطبهم بلسان واحد ، فكل عقيدة ثبتت لبعضهم فقد ثبتت للجميع وكل عمل يصدره بعضهم فقد أصدره الجميع ، وكل تصرف وقع من بعضهم فقد وقع من الجميع ، ولذلك فالشيعة عنده متناقضون في عقائدهم وأعمالهم ، والشيعة مؤاخذون عنده بما ترتكبه أية فرقة من فرقهم ، وان خرجت هذه الفرقة من خبر كان ودخلت في خبر ليس كما يقولون .

وإلا فأبى شخص من المتعلمين يجهل ان الكيسانية غير الزيدية ، وإن الاسماعيليين غير الباييين ، وان جميع هذه الطوائف غير الإمامية الاثني عشرية .

وأبى شخص من المتعلمين يجهل ان هذه الفرق تتباين في عقائدها ، وتختلف في مسالكها ، وان كل واحدة من هذه الفرق تتميز بعقيدة لا يصح لنا أن ننسبها الى فرقة أخرى ، أي شخص يجهل ذلك .

وهل يصح لعاقل أن يقول : ان بعض المصريين يرتكب القبائح فيجب أن يكون جميع المصريين أو جميع العرب والمسلمين يرتكبون تلك الآثام ، أو يقول : ان بعض الغربيين يجهلون القراءة والكتابة فلا بد أن يكون جميع الغربيين أميين لا يقرأون ولا يكتبون .

لا أعتقد ان الدكتور يقول بهذا مطلقاً ، وإن كان يقول به حين ما يكتب على الشيعة وعن أئمة الشيعة .

من الحرج على مؤلف كبير يكتب لملايين من البشر ان يعمل لنتائجه أقيسة هي أحط من أقيسة الأطفال ، ثم يقدمها للناس على أنها حقائق علمية .

أئمة أهل البيت يرتكبون الإثم في الخلفاء ، لأن الإسماعيليين يرتكبون الإثم علانية ، والامام لا يمكن أن يكون معصوماً ، لأن الفاطميين كانوا ظلمة مستهترين .

وفكرة المهدي باطلة ، لأن من نجح من دعاة المهديوية لم يحقق عدلاً ولم يرفع ظلماً ؛ والشيعة يعتقدون بالحلول ، لأن البابية والحلاج يعتقدون ذلك .

وهم يقولون برجعة الإئمة بطريق التناسخ لأن الشلمغاني يقول بذلك ، ويقولون إن المهدي في جبل رضوي عنده عينان نضاختان فيها غسل وماء لأن الكيسانين يقولون بهذا ، ونظمها كثير عزة في شعره .

فهل يريد القارىء مني أن أنقل له كتاب المهدي والمهدوية كله شاهداً على هذه الدعوى .

من الحرج على مؤلف كبير أن يعمل هذه الأقيسة ليلقي نتائجها دروساً على مئات من المثقفين الجامعيين ، ثم يحررها كتباً لملايين من القراء ، على أنها حقائق علمية من الحرج عليه أن يكتب مثل هذا ثم يعتذر بقلّة المصادر وكيف يسوغ لباحث أن يلج موضوعاً خطراً مع قلّة إحاطة وعدم تتبع ، والخيال والتاريخ لا ينفعان الكاتب في جميع الأشياء .

يذكر الأستاذ لفكرة المهدي تاريخياً مشوهاً في الاسلام ويقول إن هذا التاريخ دليل على بطلان الفكرة ؛ ولو أردنا أن نجمع تاريخ النبوات الكاذبة ، والأرباب المزيفة ، لوجدنا تاريخاً عجبياً هو أشد تشويهاً من هذا التاريخ الذي وضعه الأستاذ لفكرة المهدي ، فهل يصح لأحد أن يستدل على كذب النبوات كلها ، وإنكار الاله الحق بهذا التاريخ المشوه الذي وضعناه للكاذبين ، لا أعتقد أن الدكتور يصحح ذلك الدليل وإن كان يقول بصحته حين ما يكتب عن فكرة المهدي .

وبعد فان الدكتور ينظر الى المسلمين عامة نظرة سوداء فيها كثير من الاحتقار وكثير من الإزدراء ، لأن الشيعة في رأيه جمعية سرية ترتب أمورها بدقة وتسيرها باتقان ، وقد تمكنت بفضل هذه الدقة أن تدس في أحاديث المسلمين ما تشاء ، وان تلون تاريخ المسلمين كيف تريد ، وأن تدخل في العلوم والفنون ما تختار ، ورؤساء المسلمين وقياداتهم في غفلة عن هذا التصرف الذريع ، فأحاديث المسلمين وتأريخهم وتفسيرهم وعلومهم العوبة بأيدي هذه الفئة الدساسة ، ولعل أيدي هؤلاء امتدت الى أشياء أخرى يحذر الأستاذ من الجهر بها .

والأدب . . . والأدب . ، كيف لونه الشيعة القرمطيون بطابع الدم والثورة والخيرة والاضطراب ، ولا تعجب من هذه النسبة فهي عبارة واحدة عند الأستاذ لأنه يقول عن المتنبى أنه تعلم في بعض مكاتب الشيعة ، ومن هؤلاء الشيعة كانت القرامطة ، ولذلك فالمتنبى شيعي قرمطي ، وكل شيعي قرمطي ، كما ان كل شيعي إسماعيلي ، وكل أديب باك أو متحير فهو شيعي قرمطي وان كان في تسنن جرير ، وفي نصب مروان بن أبي حفصة ؛ وكل شعر دموي فشاعره شيعي قرمطي وان كان

من الجاهليين أو من المخضرمين .

أنا لا أنكر ما للأدب الشيعي من الروعة ، وما فيه من الجمال ، لأن هذه الظاهرة في الأدب الشيعي واضحة يجدها كل قارئ يتذوق الأدب .

أدب الشيعة صديّ لعواطف ملتبهة ، أخذ الزمان لهبها أن يظهر ، وأطلق الأدب دخانها أن يثور ، ففاح كما يفوح الند حين يحترق ، وماء الورد حين يتصاعد ، وفي الأدب الشيعي رقة السمع ، ورهبة الدم ، والحزن للقلوب والكثيية كالنار حين تنفي خبث الحديد ، وتنقي الذهب الإبريز ويستطيع الأديب الشيعي أن يبكي في ثورته ، وأن يثور في بكائه ، وأن يسيطر على الموقف في كلتا الحالتين ، لأنه يلقي من شظايا فؤاده .

لم تستطع الشيعة أن تعمل ، ولكنها استطاعت أن تقول ، والكبت حين يشتد يتصل بأعماق النفس ليمزج العقيدة بالعاطفة ، ثم يتصعد مع الزفرات أدباً يلهب ويلتهب ويبكي ويستبكي ، وفي أنة الحزين معان لا تستطيع أن تعبر عنها أنة المعاني ، وإن تشابهنا في التوقيع .

هذا ما يجعل أدب الشيعة في القمة من أدب المسلمين ، وفي الذروة من أدب العروبة ، وهذا بعض ما استفادته الشيعة من يوم الحسين ، وأيام العترة في التأريخ ، وأيامهم في التأريخ دموع ودماء .

والشيعة حين تكبر يوم الحسين فانها تريد أن تعترف بالفضل لهذا المنقذ ، لأنه استطاع أن يمزج العقيدة الإسلامية بلحومها ودمائها ، وأن تؤدي للرسول الأعظم أجر الرسالة بالولاء الصحيح ، والولاء الصحيح مشاركة في الأحزان والأفراح ، وإذا لم يستطع التأريخ أن يحفظ للعترة يوم

فرح فقد حفظ لها أيام أحزان^(١) .

أنا أعترف للأدب الشيعي بجميع ذلك ، ولكني أنكر أن يكون كل أديب باك شيعياً ، وكل شاعر ناثر قرمطياً ، لأن أكثر الشعر بكاء ، وأكثر الشعراء ناثرون ، وهل بإمكان الأديب أن لا يبكي وان لا يشور ، وهو يصور الحياة ، وأكثر ما في الحياة آلام .

(١) رعى الله إخواننا من المسلمين ، وتجاوز عنهم فيما يصنعون انهم يأخذون على المحزون أن لا يشن ، ويحكمون على المصدور أن لا يتنزفر ، يؤخذون الشيعة حين تبكي لآلامها ، وحين تحزن لأولياتها ، ويقولون : إن مواساة النبي في أحزانه بدعة ، وإن التوجع لآلام أهل البيت ضلال .
عذرتكم أيها الاخوان ، فان للحب مجالي يجهلها غير العاشقين الشيعة متيمون بنبيهم ، متيمون بأمتهم ، ويرون في هذا الحب أشد أنواع الإتياع .

ينشأ الطفل الاثنا عشري ، وعقيدة التوحيد والرسالة ملؤ ادراكه ومداركه ، وملؤ سمعه وقلبه ، واسم الحسين مع هذه العقيدة في سمو معناها وسمو أهدافها ، يدها من مصرعه بالدم فيحيل العقيدة عاطفة ، وتمد هي مصرعة بالعظمة فينعكس عليه جلالها ، وترتسم عليه أضواؤها .

لست أريد أن أرثي الحسين ، ولكني أريد أن أصور عقيدة الشيعة في الحسين وفي الأئمة من آله ، تقول الشيعة : ان النبي بكى في يوم حمزة ، وقال : ولكن حمزة لا بواكي عليه ، وبكى في يوم جعفر وزيد بن حارثة ، وبكى لأحياء آخرين ، والحسين أقرب هؤلاء الى قلبه وأشدهم صلة بروحه ، وتروي الشيعة عن ائمتها أحاديث في فضل البكاء عليه .

ويعد فلماذا يعد الحزن لأهل البيت بدعة ، بعد أن كان محل خلاف بين المسلمين ، ويعد أن أدى اجتهاد علماء الشيعة الى جوازه ورجحانه .

لم يستطع الناقدون أن يقولوا : حب أهل البيت بدعة ، فقالوا : البكاء لمصائبهم بدعة ، ولم يظهروا : ان يوم الحسين عيد للأمة ، ولكنهم جعلوا عيد الهجرة في شهر محرم .

=

ولست أعتقد أن الدكتور لم يثر ولم يبكى في يوم من الأيام ، وإذن
فالدكتور أحمد أمين شيعي قرمطي لانه بكى وثار في أدبه ، ولعله أبكى
واستثار .

ويعجبني كثيراً هذا التحقيق التاريخي لنقل كلمة المهدي الذي يذكره
الدكتور ص ١٠ « وان المختار ابن ابي عبيد الثقفي نقل كلمة المهدي الى
معنى آخر لزمها الى اليوم ، وهو ان المهدي لم يميت ، وإنما هو وأصحابه

= نغمات قديمة وقعها ابن كثير في تاريخه وتبعه آخرون .
ومن أحدث هذه النغمات ما رأيته في مجلة لواء الاسلام في عدد المحرم من سنة
١٣٧١ .

تقول المجلة عن حديث التوسعة على العيال في يوم عاشوراء هو من الأحاديث
المكذوبة ، لأن رواية من أهل الكوفة وأهل الكوفة طائفتان : رافضة يظهرن موالاته
أهل البيت ، وهم في الباطل إما ملاحدة زنادقة ؛ وإما جهال وأصحاب هوى ،
وطائفة ناصبة تبغض علياً وأصحابه ، ولما قتل الحسين بن علي يوم عاشوراء صارت
طائفة الروافض تتخذ يوم عاشوراء يوم ماتم وحزن ونياحة ، ولما رأت طائفة النواصب
ذلك قابلت الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب ، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح
والسرور والتوسعة .

أرأيت كيف يعدون الحزن لأهل البيت من الكذب ومن العمل الفاسد ،
أرأيتهم كيف يحكمون على الشيعة بالإلحاد والزندقة وهل تعلم دليلهم على هذا
الحكم .

دليلهم عليه ان الشيعة تحب أهل البيت وإلا فأبي دليل يقوم على ان من يظهر الولاء
لأهل البيت فهو ملحد في الباطن أو مبتدع ، وأي تاريخ يقول : ان النبي هاجر في
شهر المحرم .

لم يهاجر النبي في شهر المحرم ، ولكن الحسين قتل في هذا الشهر ، ولم يتدع الشيعة
شيئاً ، ولكنهم يحبون أهل البيت .

يقيمون في جبل رضوي وهو في الحجاز على سبع مراحل من المدينة ، وانه وأصحابه أحياء يرزقون » .

تأمل بربك تأمل ، هل تصح هذه العبارة من المختار إلا حين يعتقد الناس الآخرون أن إمامه قد مات ، والمؤرخون مجمعون على ان المختار قتل في السنة السابعة والستين للهجرة وان محمداً ابن الحنفية مات بعده بخمس سنين على أقل التقادير^(١) .

وهذا الجدول التاريخي الطويل الذي حشد فيه الدكتور كثيراً من وقائع الدهر ، وجعله فهرساً لنتائج فكرة المهدي أو للأحداث المتصلة بها كما يقول ، كأن الدكتور قد لاحظ فيه أن كل حركة قام بها شيعي أو كانت ضد حركة شيعية ، وكل ثورة قام دعائها باسم العدل ، فجميع هذه الحركات والثورات من الأحداث المتصلة بفكرة المهدي وإلا فأى علاقة لخلافة علي ، ومقتل الحسين ، وثورة المختار وبعض ثورات العلويين ، وسيف الدولة الحمداني ، و . و . و . أي علاقة لهذه الأشياء بفكرة المهدي ، لو لم تكن هذه الحركات شيعية ، أو لم يكن تأسيسها باسم العدل ، ورفع الظلم ؛ ولهذا كان الواجب أن يضيف الى هذه القائمة كل ثورة نهض زعمائها باسم العدل ، وإن لم تكن في الشرق أو لم تكن عند المسلمين . لا يشك أحد أن مصدر ابتلاء الشيعة بهذه التهم هو اختفاؤها بعقائدها أيام التقية والخوف .

وماذا يصنع الشيعة إذا ألجأهم البرهان العلمي الى الإعتقاد ، واضطرتهم الحكومات القائمة الى الإستتار ، وماذا يصنع الدكتور نفسه اذا ابتلى بمثل ذلك ، فهل يترك عقيدته التي حتمها عليه البرهان ، أو يخاطر

(١) أنظر تاريخ الطبري في حوادث سنة ٦٧ ، ووفيات الأعيان في ترجمة محمد ابن الحنفية .

بدمه الذي عصمه القرآن على غير جدوى في هذه المخاطرة .

لست أشك في أن الدكتور يختار ما اختارته الشيعة اذا ابتلى بمثل بلائها ، يسر العقيدة ويساير الجمهور ، وهذه نتيجة لا بد منها إذا فرضها الزمن .

كان من المحتم على الشيعة أن يخفوا ؛ وكان هذا الاختفاء مصدر ابتلائهم بهذه التهم الكاذبة التي لا تتصل بهم ولا تشبه قواعد مذهبهم .

من الضروري لكل شخص يقوم بحركة انقلابية ضد حكومة رسمية قائمة أن تكون دعوته سرية في بدايتها وان يستخدم بعض الفكر الصحيحة لتحقيق غايته ، كفكرة المهدي وما يشبهها ، وأن يموه على المغفلين ممن اعتنق هذه الفكرة ليساعده على ما يريد ، لا بد له من ذلك ، وفي هذا ما يوهم المؤرخين والحكومات القائمة أن الحركة شيعية ، وفي الحق أن الشيعة منها براء ، والدليل على ذلك تبرء الشيعة وأئمة الشيعة من هذه الحركات ، ومن زعمائها ، وأخبار الأئمة في التنديد بهؤلاء الثائرين ؛ محفوظة في كتب الشيعة المعتمدة ولكن المؤرخين مصرون على أن هذه الحركات شيعية وان زعماءها شيعيون .

تتبرأ الشيعة وأئمة الشيعة من الحلول والتجسيم ؛ وتكفر من يقول بهما ، ويأبى المؤرخون إلا أن يكون الحلاج والشلمغاني شيعيين ، وأن تكون ثورة القرامطة ثورة شيعية ، وارتكاباتهم أعمالاً شيعية مهدوية .

وتحكم الشيعة وأئمة الشيعة بنجاسة من يدعي النبوة بعد نبي الإسلام وتبطل كل دين يظهر بعد دين الاسلام ، ويقول المؤرخون ومنهم الدكتور أحمد أمين ان نهضة البابية والقاديانية نهضتان شيعيتان مهدويتان .

وتحكم الشيعة بكفر القائلين بوحدة الوجود ، وتنزه الله عن عوارض المكان والإمكان ؛ وتقول ان شريعة الإسلام كافية لتهديب الظاهر

والباطن ، ويقول العلامة ابن خلدون والدكتور أحمد أمين إن المتصرة أخذت مذاهبها من عقائد الشيعة ، أرأيت أعجب من هذا .

نظير ما ينقلون في نوادر الأذكياء : ان رجلاً بلغه موت أحد أصدقائه في السفر فحزن عليه حزناً شديداً وجزع لفقده ، واتفق ان صديقه عاد من سفره سالماً ، فلقيه يوماً في الطريق ، فسلم عليه وهويكي ، ويقول : عظم الله أجورنا فيك أيها الأخ العزيز فلقد شق علينا موتك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

فضحك صديقه وقال : وها أنا بحمد الله رجعت سالماً فقال : إن الذي أخبرني بموتك أصدق منك أيها الأخ .
تبرأ الشيعة من هذه الآراء ومن معتقديها ، ويقول المؤرخون انها آراء شيعية وإن المعتقدين بها شيعيون ، لأن الذي يجبرنا بذلك هو التأريخ ، وكتب الملل والنحل وهما شاهدان عادلان .

أنظروا كتب الشيعة مشحونة بالرد على هذه الأهواء لعلمكم تصدقون ان هذه الأهواء غير شيعية وانها تباين قواعد المذهب الجعفري ، ولعل من كتب في رد هذه الأهواء من الشيعة أكثر من غيرهم ، أنظروا كتب الشيعة لعلمكم تصدقون معي ان التأريخ لم يكتب للتاريخ وإنما كتب للعقيدة ، وإذا قلت المصادر عن المذهب الاسماعيلي فان مصادر الاثني عشرية غير قليلة ، إقرأوا كتب الشيعة ثم انقدوا إن كنتم ناقدين ، وستعلمون من دون ريب أن الشيعة لا تناصر فلسفة ولا تصوفاً وإنما تناصر الحق وتساند الدليل .

ستعلمون ان الشيعة لا تقول ان في القرآن أدباً رمزياً يؤول بمشتميات النفوس ولكنها تقول كما يقول القرآن : منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات ، وتقول إن المتشابهات يجب ردها الى السنة النبوية الصحيحة ، والى ما يفول العترة الذين جعلهم النبي قرناء الكتاب .

خاتمة المطاف

العدل الخلقي والإجتماعي نتيجة طبيعية للدين الإسلامي الخفيف اذا عمل المسلمون بقواعد هذا الدين ، وطبقوا تعاليمه على ما يعملون وما يعتقدون ، وكان من المحتم أن يصل المسلمون الى هذه الغاية منذ يومهم الأول لو أحسنوا الإلتباع واجتهدوا في التطبيق ، ولكن تزامم الغايات يبعد عن المراد .

لم يصل المسلمون الى الغاية التي نهج اليها الدين حين تركوا اللباب من هذه التعاليم واكتفوا بالظواهر ، ونظرة الدين الى الباطن سابقة على نظرتة الى الظاهر ، ولذلك فهو يبدأ بالعقيدة قبل العمل .

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾^(١) و﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾^(٢) وأمرت لأعدل بينكم﴾^(٣) وما أكثر الآيات الدالة على أن غاية الدين الأولى هي تحقيق العدل بجميع معانيه .

وإذا كان الإسلام هو الدين الذي شرعه الله ليكون دين البشر العام ، فان غايته لا بد أن تكون هي تحقيق العدل العام الذي يملأ الأرض .

هذا ما أراد الله للبشر حين شرع لهم الدين ؛ وهذا ما تفاءلت به الأديان حين أخبرت بالعدل المنتظر .

(١) سورة النحل آية ٩٠ .

(٢) النساء آية ٥٨ .

(٣) سورة الشورى آية ١٥ .

والبشر الذي يسير الى الكمال في العلم المادي بسرعة البرق ، وبقوة الذرة لا يمتنع عليه أن يسير الى الكمال في العدل الخلقي بسرعة القدم .

سيصل البشر الى هذه الغاية من دون ريب حين يدركون سمو العدل ، وحين يفهمهم المصلح ان هذا العدل لا يتحقق إلا بدين الإسلام .

هذه الفكرة هي التي تقول بها الشيعة في المهدي ، وتقول : ان المهدي الذي يفهم الناس بهذه الضرورة هو آخر رجال العترة الذين خلفهم النبي في الأمة ، وبقية ذوي القربى الذين أوجب الله مودتهم في الكتاب ، وهذه خلاصة رأي الشيعة في المهدي .

والشيعة ترحب بكل نقد نزيه يتعلق بمذهبها ، على أن يكون التفاهم للحق وحده ، وإذا كان المقصد هو الحق صغرت الوسيلة لعظم الغاية .

وعلى الناقد أن يتأكد من الرأي قبل أن يتسرع في النقد فيدل من نفسه على ما لا يحمد ؛ فان في السكوت سعة إذا لم تتضح للناطق مواضع النطق ، ورحم الله مؤيد الدين الطغرائي الذي يقول :

غالى بنفسى عرفانى بقيمتها
فصننتها عن رخيص القدر مبتذل

وأنا حين أودع سعادة الدكتور أحمد أمين ، فاني أكبر منه جهاده المتواصل وتآليفه التي خدم بها الأدب ، وأرجو أن تكون صلتنا للحق وحده ، كما يريد هو وكما أريد أنا ، وله خالص التحيات من صديقه الجديد

محمد أمين زين الدين

واكتمالاً للفائدة - نورد لعزیزنا القاریء بعض المعلومات القيمة الهامة التي تمه الباحثین الاسلامیین - الناشر

الامام المهدي عليه السلام في سطور

- * اسمه: محمد .
- * ابوه: الإمام الحسن العسكري عليه السلام .
- * جده: الإمام علي الهادي عليه السلام .
- * امه: نرجس أو مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وهي من ولد الحواريين تنسب الى وصي المسيح شمعون^(١) .
- * كنيته : ابو القاسم (كنية رسول الله صلى الله عليه وآله) .
- * القابه : المهدي ، القائم ، المنتظر ، صاحب الزمان ، الحجة، الخاتم ، صاحب الدار .
- * ولادته : ولد عليه السلام في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ في سر من رأى (سامراء) .
- * صفته : ناصح اللون ، واضح الجبين ، ابلج الحاجب ^(٢) مسنون الخد^(٣) اقنى الانف^(٤) اشم اروع^(٥) كأنه غصن بان ، وكان صفحة غرته كوكب

١ - روضة الواعظین ١ / ٢٥٣ .
٢ - ابلج الحاجب : مفترق الحاجب .
٣ - مسنون الخد : طويل الخد .
٤ - اقنى الانف : مستوي الانف .
٥ - الاشم : مرفوع الراس ، والاروع : من يعجبك بحسنه .

دري ، بخذه الأيمن خال كأنه فاته مسك على بياض الفضة ، برأسه وفرة (٦)
سمحاء سبطة تطالع شحمة اذنه ، له سمت ، ما رأت العيون أقصد منه ، ولا
اعرف حسنا وحياءاً (٧) .

* غيبته الأولى : وتسمى الصغرى مدتها تسع وستون سنة ، نصب فيها
سفراء بينه وبين شيعته ، فكان عليه السلام يتصل بهم ، وتخرج توقععاته
اليهم ، وهم :

الأول : ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الاسدي (وكيل
الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام) .

الثاني : ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٣٠٤ هـ .

الثالث : ابو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي المتوفى سنة
٣٢٦ هـ .

الرابع : ابو الحسن علي بن محمد السمري المتوفى سنة ٣٢٩ هـ (٨) .

* غيبته الثانية : وتسمى الكبرى . بدأت بعد موت علي بن محمد
السمري سنة ٣٢٩ هـ وحتى يأذن الله له بالخروج .

* نقش خاتمه : أنا حجته وخاصته .

* رايته : مكتوب عليها (البيعة لله) .

* انصاره : ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا - عدد أهل بدر - وهم خواص
اصحابه ، واصحاب الالوية ، وعماله فيما بعد على الامصار .

* محل ظهوره : مكة المكرمة .

* محل بيعته : بين الركن والمقام .

٦ - الوفرة : ما سال من الشعر على الاذن .

٧ - انظر بحار الانوار ١٣ / ١١٥ .

٨ - كانت اقامتهم رحمهم الله في بغداد ، وقبورهم في اماكن متفرقة منها ، عليها اضرحة مشيدة ، ومساجد

عامرة .

* جيشه : عشرة آلاف .

* دولته : تشمل العالم بأسره ، وقد تواتر الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله بأنه عليه السلام يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

* مدة ملكه : أكثر الروايات تصرح أن مدة ملكه عليه السلام أقل من عشر سنين .

الصحابة الذين رووا احاديث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله في الإمام المهدي عليه السلام

بين يديك الآن ثلثت باسماء خمسين صحابيا من رواة حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في الإمام المهدي عليه السلام .

اسماء الكتب

اسماء الصحابة

- | | |
|------------------------------------|---|
| البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٥ | ١ - ابو امامة الباهلي |
| ينابيع المودة ٥٢١ ط النجف | ٢ - ابو ايوب الانصاري |
| الغيبة للشيخ الطوسي ١١١ ط
النجف | ٣ - ابو الجحاف |
| كفاية الاثر
(١) | ٤ - ابو ذر الغفاري |
| الغيبة للشيخ الطوسي ٩٦ | ٥ - ابو سعيد الخدري |
| ينابيع المودة ٥٢٨ | ٦ - ابو سلمى راعي رسول
الله صلى الله عليه وآله |
| صحيح البخاري ٢ / ١٧٨ | ٧ - ابو ليلي |
| | ٨ - ابو هريرة |

١ - سجلت في كتاب (الإمام المهدي عليه السلام) الاحاديث الواردة من طريق الصحابي ابي سعيد الخدري فكانت (٤٣) حديثاً ، مستدلاً بها على كثرة الاحاديث الواردة فيه عليه السلام وكثرة طرقها من الصحابة والتابعين

- | اسماء الكتب | اسماء الصحابة |
|---|--------------------------------|
| مسند ابي داود ٤ / ١٥١ | ٩ - ام سلمة |
| سنن المصطفى لابن ماجه
٥١٩ / ٢ | ١٠ - انس بن مالك |
| ينابيع المودة ٥٩٠ عن
العرائس للثعلبي | ١١ - تميم الداري |
| سنن المصطفى لابن ماجه ٥١٩ / ٢ | ١٢ - ثوبان |
| ينابيع المودة ٥٣٦ | ١٣ - جابر عبد الله الانصاري |
| منتخب الأثر ١١٢ عن اربعين
المجلسي | ١٤ - الجارود بن المنذر العبدي |
| منتخب الاثر ٥٠ | ١٥ - حذيفة بن اسيد |
| ينابيع المودة ٥٨٨ | ١٦ - حذيفة بن اليمان |
| الشيعة والرجعة ١ / ٥٠ | ١٧ - ابو قتادة الحرث بن الربيع |
| كفاية الاثر | ١٨ - الإمام الحسن عليه السلام |
| كشف الغمة ٣ / ٣٠١ ط ٢ | ١٩ - الإمام الحسين عليه السلام |
| كشف الغمة ٣ / ٢٦١ ط ٢ | ٢٠ - زر بن عبد الله |
| غاية المرام ٢٠٠ | ٢١ - زرارة بن عبد الله |
| منتخب الاثر ٤٨ | ٢٢ - زيد بن ارقم |
| منتخب الاثر ٢٠٣ | ٢٣ - زيد بن ثابت |
| كفاية الاثر | ٢٤ - سعد بن مالك |
| مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي | ٢٥ - سلمان الفارسي |
| ١٤٦ / ١ | ٢٦ - طلحة بن عبيد الله |
| منتخب الاثر ٤٥١ عن البرهان | ٢٧ - عائشة بنت ابي بكر |
| في علامات مهدي آخر الزمان | |
| ينابيع المودة ٥٢٠ | |

اسماء الكتب	اسماء الصحابة
غاية المرام ٧٠٤	٢٨ - العباس بن عبد المطلب
غاية المرام ٧٠٧	٢٩ - عبد الرحمن بن سمرة
البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٦	٣٠ - عبد الرحمن بن عوف
منتخب الاثر ١١٦ عن بحار الأنوار	٣١ - عبد الله بن أبي اوفى
الغية للنعماني ٤٦	٣٢ - عبد الله بن جعفر الطيار
سنن المصطفى لابن ماجه ٢ / ٥١٩	٣٣ - عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي
الفصول المهمة ٢٧٨	٣٤ - عبد الله بن عباس
الفصول المهمة ٢٧٧	٣٥ - عبد الله بن عمر
البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٢	٣٦ - عبد الله بن عمرو بن العاص
الفصول المهمة ٢٧٩	٣٧ - عبد الله بن مسعود
كفاية الاثر	٣٨ - عثمان بن عفان
البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٥	٣٩ - العلاء
الفصول المهمة ٢٧٩	٤٠ - علقمة بن عبد الله
مجمع الزوائد للهيثمي ٩ / ١٦٥	٤١ - الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام
منتخب الاثر ٢٠٥	٤٢ - علي الهلالي
منتخب الاثر ٥٠	٤٣ - عمار بن ياسر
الشيعة والرجعة ١ / ٤٦	٤٤ - عمران بن حصين
كفاية الاثر	٤٥ - عمر بن الخطاب
الملاحم والفتن ٥١	٤٦ - فاطمة الزهراء عليها السلام
ينابيع المودة ٢٢٠	٤٧ - قتادة
الملاحم والفتن ١٣٧	٤٨ - قرة المزني
المهدي للصدر ١٩١	٤٩ - كعب
	٥٠ - معاذ بن جبل

التابعون الذين رووا احاديث الرسول الاعظم صلى الله عليه واله في الامام المهدي عليه السلام

عشرات الصحابة الذين سمعوا احاديث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله في الإمام المهدي عليه السلام ، ومئات من التابعين رووا تلك الاحاديث عن الصحابة ، وبين يديك الآن اسماء خمسين تابعيا من رواة احاديث الرسول صلى الله عليه وآله في الامام المهدي عليه السلام اکتفينا بالاشارة ازاء اسم كل واحد منهم بمصدر واحد للحديث طلبا للاختصار .

اسماء التابعين	اسماء الكتب
١ - ابراهيم بن علقمة	الملاحم والفتن ٥٢
٢ - ابراهيم بن محمد ابن الحنفية	سنن المصطفى لابن ماجه ٥١٩ / ٢
٣ - ابو اسماء الرحبي	سنن المصطفى لابن ماجه ٥١٩ / ٢
٤ - ابو سلمة عبد الرحمن بن عوف	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٦
٥ - ابو الصديق الناجي	سنن المصطفى لابن ماجه ٥١٨ / ٢
٦ - ابو عمرو المقري	منتخب الاثر ٤٤٩
٧ - ابو نضرة	مسند أبي داود ٤ / ١٥٢
٨ - ابو هارون العبدي	الغيبة للشيخ الطوسي ١١٦ النجف
٩ - اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة	سنن المصطفى لابن ماجه ٥١٩ / ٢

اسماء الكتب	اسماء التابعين
غاية المرام ٦٣٩	١٠ - الاصبغ بن نباتة
كفاية الاثر	١١ - اياس بن سلمة بن الاكوع
ينابيع المودة ٥٩٢ ط النجف	١٢ - ثابت بن دينار
البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٩	١٣ - جابر الصديفي
ينابيع المودة ٥٩٣	١٤ - جابر بن يزيد الجعفي
منتخب الاثر ١١٨ عن المناقب	١٥ - الحارث بن سعيد بن قيس
منتخب الاثر ٤٦	١٦ - حنش بن المعتمر
دلائل الامامة	١٧ - زاذان
البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٠	١٨ - زر بن حبيش
الملاحم والفتن ٦٨	١٩ - الزهري
كفاية الاثر	٢٠ - السائب الثقفي
الغيبة للنعمانى ٤٥	٢١ - سالم بن عبد الله بن عمر
غاية المرام ٦٩٢	٢٢ - سعيد بن جبير
مسند ابي داود ٤ / ١٩١	٢٣ - سعيد بن المسيب
مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي	٢٤ - سلامة
٩٦ / ١	
ينابيع المودة ٥٣٤	٢٥ - سليم بن قيس الهلالي
غاية المرام ٦٩٣	٢٦ - سلمان بن ابي حبيب
منتخب الاثر ٩٦ عن نفس الرحمان	٢٧ - شهر بن حوشب
كفاية الاثر	٢٨ - طاووس اليماني
ينابيع المودة ٥٢١	٢٩ - عباية بن ربيعي
ينابيع المودة ٥٢١	٣٠ - عبد الرحمن بن ابي ليل
البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٥	٣١ - عطية العوفي

اسماء الكتب	اسماء التابعين
يتابع المودة ٥٣٧	٣٢- علي بن الحسين عليه السلام
البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٨	٣٣- علي بن عبد الله بن العباس
مجمع الزوائد للهيثمي ١٦٥/٩	٣٤- علي بن علي الهلالي
الغيبة للشيخ الطوسي ١١١	٣٥- عمارة بن جوين العبدي
سنن المصطفى لابن ماجه ٢ / ٥١٩	٣٦- ابو زرعة عمرو بن جابر الحضرمي
كفاية الاثر	٣٧- عمرو بن عثمان بن عفان
الشيعة والرجعة ١ / ٤٦	٣٨- عيسى بن عبد الله بن مالك
البيان في اخبار صاحب الزمان ٩١	٣٩- كثير بن مرة
يتابع المودة ٥٢٩	٤٠- مجاهد
يتابع المودة ٥٣٧	٤١- الإمام محمد الباقر عليه السلام
غاية المرام ٧٠٨	٤٢- محمد بن جارود العبدي
سنن المصطفى لابن ماجه	٤٣- محمد ابن الحنفية
٢ / ٢١٩	
غاية المرام ٦٩٢	٤٤- محمد بن المنذر
كفاية الأثر	٤٥- محمود بن لبيد
منتخب الاثر ٥٠	٤٦- مطرف بن عبد الله
البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٥	٤٧- المعلى بن زياد
البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٦	٤٨- مكحول
صحيح البخاري ٢ / ١٧٨	٤٩- نافع مولى ابي قتادة
البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٧	٥٠- وهب بن منه

ولادة الإمام المهدي عليه السلام

ذكر المؤرخون وأهل السير وعلماء الحديث ولادة الإمام المهدي عليه السلام في (سر من رأى) في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ^(١) الموافق سنة ٨٦٨ م وقد جاء حديث ولادته عليه السلام بطرق كثيرة عن حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام كما جاء عن غيرها .

واسهب المؤرخون في ذكر مراسيم الولادة التي اجراها الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، فقد تصدق عنه بعشرة آلاف رطل خبزاً ، وعشرة آلاف رطل لحماً^(٢) وعق عنه ثلاثمائة شاة^(٣) الى غير ذلك من المراسيم التي اجراها عليه السلام .

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه حديث ولادة الامام المهدي عليه

السلام عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى الكاظم رضي الله عنهم قال : حدثتني حكيمة بنت الإمام محمد التقي الجواد قالت : بعث اليّ الإمام ابو محمد الحسن العسكري وقال : يا عمّة اجعلي افطارك الليلة عندنا فانها ليلة النصف

١ - الارشاد ٣٧٢ . حمار الانوار ١٣ / ٢ ، الذخيرة الى المعاد ٣٢٧ . منتخب الاثر ٣٣٨ . اكمال الدين ١٠٤ / ٢ . العيبة للشيخ الطوسي ١٤١ . يابيع المودة ٥٤٢ ، المحالس السنية ٥ / ٥٧٩ . كشف الاستار ٥٣ . مسائل الإمام علي ٢٤٣ . موجز تواريخ اهل البيت للسماري ٦٥ . الفصول المهمة ٢٧٧ . المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة ٢٤٩ . كشف الغمة ٣ / ٢٣٦ ط ٢ . الأئمة الاثنا عشر لان طولون ١١٧ . عيان الشيعة ٤ ق ٣ / ٢٢٧ نور الانصار ٢٤٣ . منتهى الامال للقمي ٢ / ٢٨١ . حوارة الكلام ١٥٧ . الاتحاف بحب الاشراف ٩ . لصواعق المحرقة ١٠٠ . اليواقيت والخواهر ٢ / ١٤٣ . البرهان على وجود صاحب الزمان ٦٤ . مرآة الاسرار . تاريخ آل محمد للقاضي بهلول هجعت ٢٧٠ . غاية الاختصار ٦٥ . روضة الاحباب للسيد جمال الدين . معراج الوصول الى معرفة فضيلة آل الرسول . روضة المناظر . الاعلام ٦ / ٣١٠ . ثبات الوصية ١٩٥ .

٢ - اكمال الدين ٢٠ / ١٠٥ .

٣ - اكمال الدين ٢ / ١٠٦ .

من شعبان ، فإنَّ الله تبارك وتعالى يظهر في هذه الليلة حجته في ارضه .

قالت : فاستلقيت وثمرت ثم قمت وقت السحر وقرأت الم السجدة ويس ، فاضطربت نرجس فكشف الثوب عنها فإذا به المولود ساجد ، فنادى ابو محمد هلمي اليّ ابني يا عمّة ، فجئت به اليه فوضع قدميه على صدره وادخل لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه واذنه ومفاصله الخ^(٤) .

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ حَسَيْنٌ الْمَظْفَرُ

الثَّقَلَيْنِ الْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ
كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي
مَا أَنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا
بَعْدِي أَبَدًا. إِلَّا وَأَنْتُمْ مَالِدٌ
يَفْتَرِقَ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ.
"الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ"

مَوْسَمَةُ الشَّيْخَانِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ
حَسَنٌ مُحَمَّدٌ بْنُ الْحَسَنِ عَالِمِي
الْمَكْتَبِي

بِيْرُوْت ص.ب. ٢٥/٢٢٩

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :
« إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم
بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، ألا وإني لئن يفترقا حتى يسردا عليّ
الحوض » .

بلغ هذا الحديث الشريف من الشهرة ما أغنى عن استطراد
مصادره ، فقد رواه المؤلف والمخالف ، أما المؤلف فقد تقيّد والتزم
بالنص قولاً وعملاً ، وأما المخالف فإنه قدم وأخر على هواه ، وحول
اللفظ على مزاجه ، وجعل النص مضموماً ناقصاً بالتطبيق - وقصر عمله
عن القيام بحملة مضامينه .

فكما فصل اليهود بتحريف التوراة كما أخبر الله تعالى في قرآنه
العظيم فصل بعض من الامة المرحومة في التزييف والتحريف ، كرهاً
بالأنبياء ونقمة على الأولياء ، وانتقاماً من الصالحين ، وكل ذلك دليل على
عدم الايمان بالله في الأصل فكان الفرع ما ذكرناه . .

والكتاب الذي بين يديك (الثقلان - الكتاب والعترة) من الكتيبات
أو قل من السوانح والعجالات التي تناولت الصغير في الفاظه من
الأحاديث النبوية الشريفة ، فشرحت من غير إسهاب ، وفصلت من غير
إملال ، دفاعاً عن الإسلام ، لأن الله الغاية في الأول والآخر ، وشتان ما
بين الحق والباطل لمن كان له أذنان للسمع أو قلب شاهد .

ويسر (مؤسسة النعمان) أن تعيد طباعة هذا السفر القيم الذي تركت
متعة الإستفادة من مضامينه للقارىء ، وحسبها أنها قد أقامت الحجة ،
وذكَّرت ، ولعل الذكرى تنفع المؤمنين والله ولي التوفيق

الناشر

الحاج حسن الكتبي

بِسْمِ اِيْتِيَا الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الحمد لله ذي المن واللطف ، والرحمة والعطف ، وصلاته وسلامه
على صفوة البشر ، محمد وعترته الغرر ، الثقل الكريم ، وعدل القرآن
العظيم ، اللذين من تمسك بهما اهتدى ، ومن تخلف عنها ضل وهوى .

الثقلان

الكتاب والعترة

وبعد فان من حظوة المرء ان يتلقى دينه عن برهان ودليل ، يوصلانه
الى البصيرة واليقين ، وكان من توفيقه جل شأنه ان هداني الى الاسلام دين
الفطرة ، فكنت عليه بالفطرة الى ان ابصرت رشدي فقامت لدي على
صحته براهين نفوت حد الاحصاء ، وما كان العقل لينفرد بقبول هذا
الدين المستقيم ، بل كادت كل جارحة ان تلمس وتحس الايمان ايقاناً
بآياته .

وأحسب ان رسوخ هذه العقيدة في النفس وتوطنها القلب ، ذلك
التوطن الذي لا يبتغي عنه بدلا ولا تحويلا ، ولا يعتريه تضعضع ولا
صدوع ، طارئ من اشتراك الحواس والجوانح والجوارح كلها مع العقل
في قبول تلك العقيدة وتلقيها .

وبتلك الفطرة كان ولائي لعترة نبي الرحمة والسلام (ص) وقولي
بامامتهم ، فمن اليوم الذي نطق به لساني باسم هذا النبي الامي - محمد -
انطلق باسماء عترته لا سيما - علي - وعلى تلك الفطرة درجت الى أن بلغت

من الادراك والمعارف مبلغاً لا يقبل الله تعالى معها الايمان بلا برهان ،
فانثالت عليّ ادلة بالنزر منها تقتنع البصيرة بوجوب ذلك الولاء ، وصحة
تلك الامامة ، فكانت العقيدة مزيجة من الاسلام والايمان ، ومن النبوة
والامامة .

وقد شدّ الكتاب والسنة أزر العقل على الذهاب الى إمامة العترة
وولائهم ، وقد أوردت شطراً منها في كتاب- عصور الشيعة - وجئت بالبرهان
العقلي على هاتيك الامامة في رسالة- الشيعة والامامة - .

واستطردت في كتاب العصور حديث (الثقلين) وأوجزت البيان عن
مدلوله ، دأبي فيما ذكرته هناك من آية ورواية ، وكان هذا الحديث الشريف
جديراً لبسط القول عن منطوقه ، لما جمعه من مقاصد جليلة حقيقة بالرعاية
والعناية ، وأجد ان هذا الحديث وحده يغني البصير في ولاء العترة أهل
البيت وإمامتهم عن كل برهان سواه .

وما أكثر من كتب وما كتب في شأن هذا الحديث ولكن سلاسة
الفاظه ، وفصاحة بيانه ، لا تحوجك الى سبر هاتيك الكتب المبسوطة ، في
الحصول على ما يدل عليه هذا الحديث الشريف ، بل القاوؤك بنظرة واحدة
على فصيح عبارته يرجعك وانت مطمئن القلب بما دل عليه ، واثق النفس
بما افاده .

إن مما منح به نبينا العربي (ص) فصاحة المنطق ، وكان حقيقاً بتلك
الفصاحة ، لأنه وليد تلك المدرة التي جمعت فصحاء العرب ، المجتهدين
في انتقاء البليغ من الالفاظ ، وهو بعد في افصحهم بيتاً ، وأفضلهم
معارف ودراية ، ورضيع تلك البادية النقية ، التي تغذت الهواء الطلق
وحاربت البطنة بقلة الغذاء ، فخفت منها الطباع والابدان وصفت منها

الافكار والارواح ، وأنت خير كيف تدني المرء هذه الخلال من مراقبي
الفصاحة والبلاغة .

ولو لم تكن له تلك الولادة وذلك الرضاع لكان له من النبوة المحل
الارفع من بليغ البيان ، لأن النبي يجب أن يكون أفضل أهل زمانه في
شؤون الفضل ، فوجب ان يكون افصح الناس ليقوى بفصيح منطقته على
تبليغ الناس وافهامهم ، واقامة الحججة عليهم بالبيان ، ولا تغلب حجة
أحد حجته ، ولا يعي إمام أهل الفصاحة والبلاغة .

وإن من مميزات بلاغته ان بيانه مفهوم لكل أحد ، العام والخاص
والعالم والجاهل ، والفصيح والالكن ، والذكي والغبي ، خصوصاً فيما
يريد به إعلام هؤلاء جميعاً ، واقامة الحججة عليهم كافة ، وقطع المعاذير
منهم اجمع .

فحديث - الثقلين - من ذلك البيان البليغ الذي عني به اعلام الناس
عامة ، عن أمر فيه حياة الأمة السياسية والدينية بل ان في الامامة حياة
الأمة من كل ناحية ، أليس الامام قائماً بوظائف الرسول ، ولا تفوته إلا
النبوة ، تلك المنزلة الخاصة ، فالامام المرجع لهاتيك المقاصد السامية التي
بشر بها الرسول الاكرم في دعوته ، ودعا بها الناس الى اقتطاف ثمار
السعادة عاجلة وآجلة ، وهذه المقاصد هي كل شيء في حياتي الأمة ،
فالامة في حاجة لا مناص عنها الى ذلك الامام المصلح في جميع شؤون
الحياتين .

فلما كان هذا الحديث الشريف معنياً به الأمة جمعاء حق أن يكون
من فصاحة البيان وسلاسة التعبير صالحاً كل الصلاح لأن تقوم به الحججة
عليهم جميعاً ؛ ويقوى الكل على فهم القصد منه من دون عناء وكلفة .

وكان هذا الحديث الكريم من هاتيك الأدلة التي ارغمتني على الاعتقاد بامامة أولئك الفئة من أهل البيت ، وقادتني الى القول بعصمتهم ، والزمتني بولائهم ، والاذعان بامور أخرى تخصهم ، كما سنفصح عن بعضها ، فرغبت ان أسبك ما وصل اليه فهمي لتلك المقاصد منه بيانا ينطق به لسان القلم ، فان كنت اصبت الهدف فتلك السعادة التي رجوتها من ارشاد نبي الرحمة والاصلاح (ص) ، وان اخطأ السهم الرمية فاجدر بك - ايها المؤمن - وان تأخذ بي الى سنن الطريق ، ومستقيم السنن ، فان المؤمن مرآة أخيه المؤمن ، ومن أحق من المؤمنين بالنصيحة والتعاون للوصول الى معارج الحق ، وما ضالتي المنشودة إلا بلوغ الحق ، ونصرة الحق .

وها أنذا أضع ما فهمته من هذا الحديث الشريف أمام بصرك وبصيرتك بعبارات ليس فيها تطويل يبعدك عن القصد ، ولا وجازة تخل بالعرض ، واذا فاتني بعض أغراضه أو اجتزت حدود مقاصده فامرلا غرابة فيه ، شأن عامة البشر ممن لم تجب العصمة لهم ، وكان الخطأ غير مستنكر منهم .

واني لأتعوذ به عز شأنه من العمد في المخالفة ، واقتحام الخطأ في القول والعمل ، كما أسأله تعالى ان يجيرني من السهو والغفلة ، انه سميع مجيب .

الشيخ محمد حسين الظفر

نص الحديث

اختلفت الروايات في نص هذا الحديث الشريف ، غير ان الاختلاف الذي جاء فيه لا يغير مفاده ، ولا يجعل منه منزعاً للتأويل الزائغ ، ولا ذريعة للفرار عما لزم به منطوقه .

وهذا الاختلاف يشهد لما قيل : من ان الرسول الامين (ص) نطق بمفاد هذا الحديث في عدة مواطن ، مراعيًا وحدة المعنى والغرض ، كما ان تعدد الرواة له وتعدد الطرق لروايته ينبينا عن تعدد تلك المواطن ، ومن تلك المواطن حجة الوداع يوم عرفة عند مجتمع الناس ، ومنها يوم الغدير في خطبته ، ومنها مرض موته عند وصاياه لامته .

ونحن نورد لك أحد تلك النصوص ، أو أوسطها بياناً وظهوراً ، وهو قوله (ص) : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً ، أو وإنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » .

وجاءت في بعض نصوص هذا الحديث تصريحات عن الغرض المعني أوفر مما هو موجود في هذا النص ، امثال قوله (ص) : (إني تارك فيكم خليفتين) بل لفظ - الثقلين - وقوله في آخره : (ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم) الى غير ذلك ، تركناها أخذاً بأواسط الامور ، وجعلنا لفظ هذا النص المتقدم هدف البيان ، ومقصد القول .

السند

بلغ هذا الحديث الشريف من الشهرة ما اغنى عن استطراد مصادره ، فانه قد رواه الفريقان واعترفت به الفرقتان وعرفه الخاص والعام ، بل حفظه الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ، فهو فاكهة الاندية ، وفي مذاق الافواه . حتى كاد ان يتجاوز حد التواتر ، وللطمانينة نشير الى بعض تلك المصادر .

فهذا أحمد يرويه في مسنده من طرق عديدة عن جماعة كثيرة انظر المسند (٣ : ١٧ و ٥٩) و (٤ : ٣٦٧) و (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) الى غيرها .

وهذا مسلم يرويه في صحيحه في فضائل علي (ع) من عدة طرق والحاكم يرويه في المستدرک (٣ : ١٠٩) .

وابن حجر في صواعقه بعد الآية الرابعة من الآيات النازلة في فضل أهل البيت يقول : ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا عديدة وردت عن نيف وعشرين صحابياً .

والسيوطي رواه في (احياء الميت بفضائل أهل البيت) المطبوع في

هامش (الاتحاف بحب الاشراف) من طرق كثيرة .

والشيخ سليمان يرويه في ينابيع المودة ص ٢٤ طبعة بمبيء من طرق كثيرة جداً ، عن الترمذي وابن ماجة والطبراني والثعلبي في تفسيره وعن كثير سواهم .

والحافظ الطبري في ذخائر العقبى ص ١٦ من عدة طرق .

إن استقصاء الرواة والطرق لهذا الحديث الشريف يخرجنا عن الصدق ، ويخرج هذه الرسالة عما وضعت له من الوجازة ، وقد عرفت ان هذا الحديث جاء طي حديث الغدير أيضاً ، فكثير ممن روى حديث الغدير قد رواه ، فهل يا ترى كم يبلغ رواية الغدير والكتب التي ذكرته ، ولقد قيل : ان طرقه قد بلغت مائتين وخمسين طريقاً وان من يتصفح الكتب التي كتبت عن حديث الغدير لا يستبعد هذا العدد الجم ، ولو جاء حديث الثقلين ضمن البعض من هذه الطرق - وقد جاء فعلا - لكان متجاوزاً حد التواتر .

وان شئت ان تستوضح الحال وتقف على حال السند وطرقه تفصيلا فدونك الكتب المبسوطة ، ويغنيك منها كتاب العباقات .

معنى الحديث

اصبح الاخذ بهذا الحديث لزاما ، والعمل به حتما ، بعد أن أصبح حجة في سنده ، غير اننا نريد أن نفقه معنى الحديث لنرى ما يرشدنا اليه ، ويدلنا عليه ، ففسير على ضوءه ، ونستضيء بمصباحه .

والحديث كما أشرنا اليه لا ليس فيه لا تعقيد ولا إجمال ولا اغلاق ، فإسلاسة الفاظه ، وانتظام سبكه وفصاحة بيانه تطمع كل أحد في فهم مقاصده . من دون غور في الاستخراج ولا تكلف في الاستنباط واليك ما افهمه منه .

ولا أريد أن أفرض فهمي عليك ولكني أريد منك أيها القاريء الكريم أن تنظر الى الحديث نظرتي اليه متجرداً عن النزعات الطائفية . بعيداً عن العقائد المذهبية . لنرى ماذا يوصلنا اليه هذا الحديث الشريف فإني لأرى ان لهذا الحديث الكريم اثراً قيماً في توجيه الامامة ، وجعل القيم على الشريعة ، المستودع لعلم الكتاب ، الذي به هداية الأمة لو تمسكت به ، والأمة اليوم وقبل اليوم في حاجة كبرى الى الهداة الذين تجتمع بهم الكلمة ، ويوحد المذهب ، ولا اجتماع ولا وحدة والمذاهب شتى ، والآراء متفرقة ، والعقائد توحىها الالهواء ، فالحديث على ايجازه يقودنا الى الوحدة سياسياً ومذهبياً ، وتلك من معاجز بيانه ، وحججه البالغة .

اني تارك فيكم

جاء في بدء هذا الحديث المبارك قوله (ص) : (إني تارك فيكم) وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة ، كل جيل جيل وكل عصر عصر وهذا الاسلوب من البيان جاء على نهج أرباب المحاورات وجري على صيغ أوامر أهل الأمر ، ومن اليهم الحل والعقد وحين كان تبليغاً للحاضر والبادي والشاهد والغائب تنقطع عنده المعاذير ممن يزعم ان البلاغ لم يصل اليه بان الرسول (ص) نصب للأمة علماً يوضح لها ما أشكل من الكتاب ويعرفها ما تجهل من معالم الشريعة وأماماً يخلفه في اداء وظائفه عدا شعار النبوة وطابعها الخاص .

ونعرف الغرض المعني من هذه الكلمة - لو التبس علينا القصد وليس بملتبس - بمثل كلامه من رجال ينظرون الى ما وراء اليوم ويرون انفسهم مسؤولين عما في غد ومنه نتقرب الى معرفة ما كان على الرسول (ص) من الوقوف لنصح الأمة وهدايتها عمر الدهر وللقصد من كلامه الذي يريد به ذلك النصح والرشد لو غاب عنهم فان الشيء يعرف بنظائره وأشباهه .

ونضرب أمثلة نفرضها من مواقف رجال تختلف مقاديرها في المجتمع ومسؤولياتها أمام الناس ليكمل لنا المقياس ونقوى على الزنة . واليك شيئاً

مما أريد فرضه .

فلو ان أحداً من سواد الناس يريد سفراً نائياً وله أهل وصبية يقوم بتغذيتهم وتربيتهم وليس لهم سواه معول في الاعاشة والتقويم وقال لهم عند محاولته السفر : إني تارك فيكم فلانا . فماذا تفهم من هذه الكلمة اتراه يريد غير نصب الخلف عنه في القيام بمهماتهم وتقويم إودهم لتسكن بذلك نفوسهم وتطمئن قلوبهم لأن النفوس من شأنها الفزع والهلع إذا فقدت الكفيل الضمين والاب الحاني الرؤوف .

أو ان أحداً من أرباب التجارة أو الصناعة وله مراجعات ومراسلات وعمال وكتبة أو معامل وصناع وهو يريد السفر بعيداً عن محله . وأنت تعلم كيف يؤول أمر تجارته أو صناعته إذا لم يجعل القيم النائب عنه في تسيير الامر فلو قال وهو على أهبة السفر : إني تارك فيكم فلاناً . اتراه يعني غير الخلف عنه القائم مقامه في تسيير دفة أعماله والمرجع لهم فيما لهم من حق وراتب ، وفيما له عليهم من حق ، فانه لا ينتظم أمر كبير ولا يتم أمر جليل ، من دون زعيم يقوم على رأس ذلك الامر والعمل .

وهكذا يتضح الامر جلياً من أرباب الادارة والحكم فانه لا يغيب أحدهم عن مقر وظيفته إلا ويجعل له الخلف في إدارة أحوال الناس ، وان غاب ولو يوماً واحداً من دون نائب وخلف لم يأمن من اضطراب حبل الامن ، ومن ارتباك الناس لوقوف اعمالها التي ترتبط بوظيفته ، فكيف اذا غاب زمناً طويلاً . اتراه يستتب الامن ، ويسير النظام من دون خلف يقوم بتسيير البلاد ، ومن ثم لا يسوغون لذلك الاداري ان يغادر البلاد ويتركها هملاً من غير راع وسائس يقوم مقامه فلو قال عند سفره : إني تارك فيكم فلانا ، الست تراه يريد القائم مقامه في اداء وظيفته وإدارة أعماله المسؤول عنها .

ويظهر لنا الحال واضحاً في الملك ورعيته فيما اذا حاول الملك رحلة الى بلاد اخرى ، أو أريد به ارتحالا الى الاخرى وقال للناس وكلهم قلب فزع حذراً من الاهمال أو الاخلال بجعل النائب عن شخصه ، القائم بكبير اعماله : إني تارك فيكم فلانا ، فماذا تراه يقصد من هذا القول عند تلك الرحلة أو ذلك الارتحال ، اتراه يعني غير مكانه وجعله الخلف من بعده ، بما له من وظيفة وحق ، وما للباس عليه من حق ، تطميناً للنفوس الجائشة ، وتهذئة للقلوب الخائفة . لأن الرعية تجدد نفسها من غير سائس كالنعم بغير راع . فاذا عرفت الخلف بعد السلف هدأت بالا واطمأنت جأشاً ، لا سيما اذا كان في الامة من يطمع بالعرش ، وينتهز الفرصة للوثبة ، أو كان هناك أعداء ينتظرون خلو البلاد من ذلك الملك ليثبوا على عرشه ، ويبطلوا الجهود التي قام بها في خدمة البلاد واصلاحها أفهل يا ترى يفهم الناس من كلمته تلك والحال على ما عرفت غير أنه يريد الاعلام عن الخليفة عنه ، والقائم باعماله عند غيابه .

ونعرف الحال من كذب في العالم المرشد الذي افاد الناس بنصائحه وتعاليمه - والناس في حاجة ابدأ الى المرشد الصالح - فلو اراد هذا الدليل المرشد ان يغيب طويلا غيبة آيب أو مفارق ، والناس لا تعرف من يصلح للارشاد من بعده كما يعرفه ذلك العالم الناصح ، وهل يا ترى ان أهل العلم والعرفان ادري بامثالهم ام سائر الناس . ويجدد نفسه مسؤولاً أمام الله والعقل والناس لو تركهم وانفسهم يخبطون خبط عشواء في اختيار المرشد الناصح ، والعالم الصالح ، على أن الناس في كل عصر غير نقية من أهل الزيف والضلال ، أو أرباب المطامع الشخصية ، فلو قال ذلك العالم المصلح وهو على جناح سفر : إني تارك فيكم فلانا ، فماذا يفهم منه الناس الذين التفوا حوله . وهم ينتظرون نصحه ورشده . أفلا يرونه انه

دلهم على الخلف الناصح الذي فيه الهدى والنجاة .

هذه أمثلة نزره وما أكثر امثالها أضعها نصب عينيك لتقرب بها من فهم القصد من تلك الكلمة الكريمة التي وردت في صدر الحديث الشريف . فان الشيء يعرف بنظيره . وان هذا الاسلوب من البيان جار عند جميع الطبقات من البشر . الذين يرون أنفسهم مسؤولين عما وراءهم .

وما جاءت هذه الامثلة إلا عن مسؤولين عن ناحية خاصة ، وأما لو كان الذي يحاول الغياب ممن يجمع مسؤوليات عديدة . والناس لديه شرع سواء . يرعى حالهم من ناحيتي المعاش والمعاد . ويروم لهم السعادة في الحياة العاجلة والآجلة وليس في الناس مثيله من يجمع شرف العلم وفضيلة العمل . ويضم الى الدين الادارة حتى يفزعوا اليه عند غيابه . إلا أن يدلهم هو على ذلك البديل الذي يصلح للقيام بمسؤولياته ، فاذا قال للناس وقد شد رحله وقدم راحلته للسفر ، والناس حوله ينظرون الى نبرات شفثيه وقسمات وجهه التي تتبع في الرضى والغضب والحزن والفرح تقاطيع صوته ، وتقطع عباراته ، ويتنظرون منه النصيح والارشاد ، كما اعتادوه منه ولمسوه من قوله وفعله : إني تارك فيكم فلانا ، فماذا يفهم منه ذلك الخلق الجاثي حوله غير أعلامهم عن جعل الخلف بعده لطفاً بهم وعظماً عليهم ، ذلك الخلف الذي يقودهم الى سبيل السعادة والخير ، ويصددهم عن مهاوي الشقاء والشر ، من الناحيتين السياسية والدينية ، وفي الحياتين الفانية والباقية .

هذا ما يفهمه الناس في عرف المخاطبات والمحاورات ؛ والوصايا والالزامات ، على ان ذلك القائل ليس له صفة إلهية خاصة ، فكيف اذا كان سفيراً بين الخالق والخليقة ، ومرسلاً رحمة للعالمين ، ليخرجهم من

الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقوة الى السعادة ، وكان ما ينطق به وحياً بوحى علمه شديد القوى ، فاذا قال وهو على أهبة السفر الى الرفيق الاعلى ، قال وهو يعلم انه المسؤول عن الامة جمعاء أمام الخالق والخلق والعقل والمنطق ، قال وهو يعلم أنه أهدي الى الخلف الصالح الناصح ، وأعرف بالامام الهادي ، قال وهو يعلم انه لو ترك الدلالة على خلفه لم يسلم من الملامة ، قال وهو يعلم انه مسؤول عن الامة من جميع نواحي حياتها دنيماً واخرى ، فانه المشرع والمنفذ والعالم والحاكم والمرشد والسائس قال : إني تارك فيكم الثقلين ، فمأذا ترى يقصد من كلمته هذه أترأه يريد غير النص على الخليفة من بعده الذي يقوى على القيام بوظائفه بعد غيابه ، وعلى النهوض باعباء مسؤوليته ، فرضاً لا رخصة فيه ، وتعييناً لا خيار به ، وإماماً لا بدل عنه ، وانه هو الجاعل دونهم ، والمعين دون رأي منهم .

وما قوله إني تارك إلا كما لو قال : أمرني العليم عز وجل أن أنصب عليكم أماماً وخليفة من بعدي . لأنه لا ينطق عن الهوى أو الحب لذوي القربى بل لا ينطق إلا عن وحي يوحى اليه .

ويشهد لهذا المقاد من انه (ص) يقصد بهذا القول نصب الخليفة من بعده ما ورد في بعض نصوص الحديث : اني تارك فيكم خليفين . أنظر مسند أحمد (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) وهل بعد التصريح بلفظ الخلافة من نص .

ومن عرف مناسبات المحاورات مع قرائن الاحوال لا يجد فرقاً في فهم القصد بين التصريح بلفظ الخلافة أو الاكتناء عنها بلفظ الثقلين ، لأن دلالة على الخلافة والامامة واضحة لمن يريد أن لا يكون بينه وبين اللفظ ومدلوله شيء من المرتكزات التقليدية ، والعقائد الاتباعية ، فان للارتكاز

والعقيدة سيطرة على ظهور الدليل بل ونصه ، لان المرء جهده يصرف
اللفظ عما دل عليه الى ما يراه ويعتقد به ولورجعنا الى ما ترشدنا اليه
الادلة دون ان تدخل في الدلالة الاغراض والاهواء لم تبعد الشقة بين أهل
المذاهب والعقائد .

ولو قيل : إن الرسول (ص) يترك في كل غزوة يقودها بنفسه أميراً
على المدينة . وبنوه بخلافته عنه فلماذا لا نرى خلافة أولئك الامراء . وقد
صرح (ص) بتلك الخلافة .

لقلنا : إن هذه الخلافة خلافة على أمر خاص . وبلد خاص . أيام
حياته خاصة . وفي أيام معدودة . واين هذه من تلك الخلافة العامة بعد
وفاته . وعلى الامة جمعاء . الى أمد غير محدود . بل صرح (ص) في بعض
نصوص الحديث أنه سوف يدعي فيجيب . أليس هذا إذن وقت التخليف
ونصب الرائد الراعي . والامام العام . الإمام الذي لا غنى للامة عنه .
القائم - لكفايته ومقدرته - بوظائف الرسول (ص) واعباء مسؤوليته . وما
على الرسول إلا البلاغ المبين . وما عليه اذا لم تسمع الامة قوله وتطع
أمره . وإذا خالفوه فانما أساءوا لأنفسهم . وحادوا عن الطريق الذي هداهم
اليه ووجب عليهم السلوك فيه . وليس عليه ولا على الخلف بعده غضاضة
إذا عمد الناس على خلافهما وتركوا الائتتمام بهما .

وإذا كان النبي (ص) لا يترك المدينة أياما قليلة بغير خليفة وأمير .
فكيف يترك الامة كلها عمر الدنيا بغير قائد ورائد . وأمام وخليفة .
يجمعهم على الهدى والرشاد ويدلهم على الخير والصلاح . ويعرفهم ما
جهلوه من معاني التنزيل واحكام الشريعة ، ويصرفهم عن مهاوي الجهل
والفساد مع حاجتهم الى تلك الدلالة وذلك التعليم والارشاد . وإلى هذا
الصرف والصد .

الثقلين

قال في القاموس في (ثقل) : والثقل محرّكة متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون . ومنه الحديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي .

وكفى ما في القاموس عما يذكره سواهم من أرباب المعاجم اللغوية . لأن القصد من الاستشهاد به ان نعرف المعنى المطابق للثقل عند أهل اللسان فمن هنا تعرف ان التعبير عن الخلف بعده بالثقل تلويح بل تصريح عند أرباب المحاوراة والبيان بعظم شأن الخلف لفاسته . وهذا وحده يغني الناس في وجوب العناية بذلك الخلف فيما يليق بشأنه . فالعناية بالكتاب الاخذ بتعاليمه وتطبيق أحكامه . والعمل بنصائحه وعظاته . الى غير ذلك مما فيه سعادة البشر وصلاحهم والعناية بالعترة اعظامها وأكرامها والامثال لاوامرها والارتداع بزواجرها والعمل بما تسديه من ارشاد وهدى الى ما سوى هذا مما فيه حياة الأمة دنيا وأخرى ، لأن جميع ما لديهم اخذوه عن الفرقان وعن الصادع به .

وليس الاهتمام في جودة خط الكتاب والتجويد به يعد عند أرباب البصائر من العناية به ، من دون اخذ بنصائحه وارشاداته ، وعمل باوامره

ونواهيه ، كما ان احترام العترة وحباءها وان كان من العناية إلا أنه لا يتم ذلك ما لم يتمسك بهداها التزاماً بما ترشد اليه وتدعوه له من أوامر الكتاب والسنة ، لأن اللائق بالكتاب الذي نزل ناموساً للبشر ان يعملوا بتلك الأنظمة والاحكام ، واللائق بالعترة التي جمعت الى العلم الهداية والصلاح ان يستقي الناس من ينابيع معارفهم وعلومهم ، ويعملوا بنصائحهم ويقتدوا بهديهم ، فانهم لا يوجهون الناس إلا الى السعادة في الحياتين وهذا اللفظ وحده يرشدنا الى ما أشرنا اليه من شأن الثقل وان لم ننظره مقترناً بأول الحديث وآخره ، فكيف إذا نظرناه جملة واحدة مشفوعاً بصدرة وبعجزه ، ومقروناً بالآيات والروايات اللواتي حثت على الاعتصام بهذا الخلف ، وما كان ذلك الحث والترغيب إلا لصلاح البشر انفسهم ، فان بالتمسك به الهدى وعدم الضلال عمر الدنيا ، كما يفصح به الحديث نفسه ويرشد اليه غيره ، وجاء في بعض نصوص هذا الحديث قوله : ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، كما يرويه في الينابيع ص ٢٩ عن المناقب ، ومن هنا تعلم ان التمسك بالعترة انما هو لحاجة الناس الى علم العترة وأما العترة فهي في غنى عن علم الناس لأنها اعلم منهم ، فأمر المصلح الأكبر خاتم الرسل (ص) بالتمسك بالثقلين ما كان للعناية بشأن الكتاب والعترة لانها كتاب وعترة فحسب ، بل لان بهما الهداية والرشد للأمة عمر الدنيا ما استمسكت بهما ، فكما كانت رسالته رحمة للعباد كانت استدامة الرحمة بوجود الثقلين ، وهذا كله من الطافه تعالى بعباده وهو اللطيف الرحيم .

كتاب الله

لا مناص من أن يكون الكتاب خليفة للرسول (ص) وان لم ينص الرسول على خلافته عنه ، لأن فيه الحكم والاحكام ، والنصائح والاخلاق ، والتعليم والارشاد ، واخبار الاوائل وعبر الماضين ، الى ما سوى ذلك مما فيه حياة البشر لو تبصروا فيه وعملوا به ، وأي شيء من هذا تستغني الأمة عنه ، بل فيه كلما يحتاج اليه الناس ، كما يقول سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(١) وكما يقول تعالى خطاباً لسيد رسله (ص) : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾^(٢) .

غير أن مداركنا قاصرة عن الوصول الى هذه الكلية الواسعة ، كما أن الكتاب لا يكون فيه مبالغة ولا غلو ولا كذب ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا بد إذن من أن يكون له قوم يعرفون مدى ما فيه ، ويعلمون ما حواه ، ودلنا الكتاب نفسه على وجود العلماء بتأويله حسبما نزل وصدع به الرسول الاكرم ؛ وذلك حيث يقول سبحانه خطاباً لرسوله

(١) سورة الأنعام آية ٣٨ .

(٢) سورة النحل آية ٨٩ .

الامين (ص) : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾^(١) .

فهذه الآية المباركة اعلمتنا بصريح منطوقها ان في القرآن آيات محكمة وأخر متشابهة ؛ وان العالمين بتأويله بعد الله جل ذكره الفاضلين بين محكمة ومتشابهة قوم راسخ علمهم ، لا يعتريه تزلزل وشك ، ولا شبهة وريب .

وأما الناس الذين أخذوا علمهم عن الناس فلا يكون علمهم ثابت الاساس رفيع البناء ، بل لا بد أن يكون قائماً على شفا جرف هار ، وما قرن سبحانه علم التأويل لأولئك العلماء بعلمه تعالى إلا لأن علمهم مستمد من ينبوع فيضه .

وهل يا ترى يستودع الله تعالى جواهر علمه ومفاتيح غيبه عند من لا يقوى على احتمال تلك الوديعة ، ولا يعرف زنتها من الكرامة ؛ أو يودعها عند من لا يكون أميناً عليها ، ولا يقدر على الاحتفاظ بها ، فيلقها الى كل من يلقاه ، ويفضي بها الى كل من يسأله ، وأن لم يكن وعاءه صالحاً لاستيداع ذلك الجوهر النفيس ، أو يستودعها عند من يتبع هواه لاهداه ، ويقتفي ميوله لا نزوله ، أو يزيغ ويخطيء ويسهو وينسى ، كلا ، لا يكون ذلك شأن من يريده العلام تعالى وعاءاً لاستيداع غيبه المكنون وعلمه الثمين ، ويريده اداة لاصلاح العباد بل لا بد ان يكون قوياً على احتمال

(١) سورة آل عمران : الآية ٧ .

عبء تلك الوديعه ، اميناً عليها ، يعرف عند من يستودعها والى من يفضي بها ، لا يعتره الريب والشك والسهو والنسيان والزيغ والخطأ في ذلك العلم المستودع ، وإلا لاختلط الخابل بالنابل وصار ما ينسب الى الله سبحانه مشوباً من حق وباطل وصواب وخطأ ، واذا علم الناس انه خزانه علم الله جل وعزّ وأدلى الى الناس بالخطأ والزيغ والضلال سهواً أو غفلة أو نسياناً فقد أوقع الامه بالفساد وقد أراد الله جل اسمه أيداعه العلم للصالح وأخرج الناس من غياهب الضلال ومهاوي الجهل والشقاء .

فمن هذه الآية الكريمة علمنا ان للكتاب العزيز علماء بالتأويل لا يجهلون ، ومعصومين لا يخطئون ولا يسهون ولا ينسون .

كما أن الآية الكريمة دلتنا على فئة اخرى زعمت أن لها علماً بالتأويل ، وهم أرباب الزيغ والضلال ، الذين اتبعوا ما تشابه من الكتاب ، وابتغاء فتنة الناس وصرفهم عن الهدى والحق ، وابتغاء تأويله حسبما يريدون دون اخذ عمن جاء به ونزل عليه ، وهذا التنبيه منه جل لطفه تحذيراً لنا من أن يفتننا المبطلون ، ويحيد بنا عن الحق الزائغون ، وما حذرنا عن اولئك الفاتنين إلا ونصب لنا ادلة على تأويل الكتاب يفصلون بين محكمه ومتشابهه ، ويهدون الناس الى المحكم ويريدون بهم الهداية والسعادة .

قد يقال إن قوله تعالى ﴿ والراسخون في العلم ﴾ ابتداء جملة والخبر قوله بعد هذا ﴿ يقولون آمنا به ﴾ فلا يكون عطفاً على لفظ الجلالة ، وعليه فيختص علم التأويل به جل علمه ، ولا يشاركه فيه أحد من البشر .

غير أني أقول : إن اجتهدنا أن نصرف الآية عما دلت عليه من وجود العلماء بالتأويل من عباده فلا نستطيع أن ندافع ما يلزم به العقل من وجوب الوجود لمثل هؤلاء العلماء ، وذلك لأن هذه الآية صرحت بان الكتاب مشتمل على المحكم والمتشابه وان في الناس زائغين يريدون اتباع المتشابه للاضلال والفتنة ويريدون التأويل حسبها يهون ، فاذا لم يكن هناك علماء بالتأويل يعرفون المحكم منه ويصرفون الناس اليه ابتغاء هدايتهم واخراجهم من الضلالة فلا يقي اذن غير ذوي الضلالة في الناس ، فاين حجته البالغة ، واين هدايته للنجدين ، واين من يدل الناس على ضلالة أولئك الزائغة قلوبهم ، واين من يصرفهم عن اتباع أولئك الضالين .

فالآية لا صارف لها عما اشارت اليه من أن الراسخين في العلم هم من علماء التأويل على أن الكتاب نفسه في غير هذه الآية اخبرنا عن وجود العلماء بالكتاب كما في قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ فالرسول (ص) خبير بجميع ما نزل عليه وصدع به .

وكما في قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ ، واذا لم يكن سيد الرسل وخاتمهم مرتضى لله تعالى في اظهاره على غيبه فمن المرتضى سواه ، وان الاظهار على غيبه أعلى شأنأ وأوسع دائرة من اظهاره على علم الكتاب وحده .

وكما في قوله تعالى : ﴿ ولا يجيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ ، وما علق الاحاطة على المشيئة إلا وقد شاء الى غير هذه من آي الكتاب .

نعم انما يكون ذلك الظهور على الغيب والاحاطة بالعلم منحة منه جل لطفه ، فلا يكون ذلك في الانبياء والأوصياء ذاتياً وهذا بخلاف علمه تقدس علم فان علمه سبحانه عين ذاته ، فالفرق بين العلمين ظاهر فاذا

كان رسولنا الامين (ص) ظهيراً على الغيب ، عليماً بما نزل عليه ، محيطاً بشيء من علمه ، فهل انتهى اليه ذلك ولم يستودعه أحداً من امته ، وبقي ذلك العلم والغيب مكنوناً ، وعلم الكتاب مخزوناً لا يعلمها بشر غيره ، ويبقى أهل الزيغ والضلال على اضلالهم واغوائهم . فاذا كان في عهد الدليل المرشد صاحب الرسالة (ص) منهم فئة موجودة . فبالاحرى أن يكونوا من بعده أكثر نفراً وعدداً . وهل يصح في العقل والدين أن يبقى أرباب الزيغ والضلالة رافعين أعلام الغواية ولا هادي ولا مصلح . ولا عالم بالكتاب ولا مرشد . يدلون الناس على الهدى والرشاد . ويرشدونهم الى ضلالة أئمة الضلال فالخلف عن الرسول (ص) الحامل لعلمه وهداه لا بد منه في الأمة .

نعم ان الجدير بالناصح المصلح الاكبر سيد الرسل (ص) ان يدل الأمة على أولئك الأئمة ادلة الرشاد فانه ادري العالم بمن يحمل علمه واعرف الناس بمن انتهى اليه الهدى والدلالة ومن ثم قال : مشيراً اليهم :

وعترتي أهل بيتي

فلا مندوحة اذن عن هذا الخليفة الثاني من الثقلين في النيابة عن صاحب الرسالة (ص) لأن للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وظائف جمة ينهض باعبائها ، فهو نبي مشرّع ؛ واداري مطبق ومنفذ ، وقاض يفصل الخصومات ، وسياسي يعقد المعاهدات ، وقائد محنك باسل ، ومعلم مرشد هاد ، الى غير ذلك مما يحتاج اليه في التبليغ والتعليم والحكم لأن المسؤولية عليه خاصة من كل ناحية .

هذا في أيام حياته وأما بعد وفاته فلا غنى للناس عن ذلك الحاكم الاداري ، والعالم المرشد ، والقاضي الفاضل ، والقائد المحنك ، والسياسي الخبير ، وما عدا هذا مما لا بد منه في الزعيم الجامع للناس ، غير ان التشريع من صفات النبوة خاصة ، ولئن أخبر (ص) عن مماثلة علي (ع) له في المنزلة الشاملة لجميع ما أشرنا اليه فقد استثنى النبوة ، ومن ثم لم يستثن شيئاً من العلم في قوله : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

فاذا كان الخليفة عن الرسول (ص) لا غنى عنه بتاتاً فمن هو الجديير بالنيابة عنه - أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمسن لا يهدي إلا أن يهدي - لا ينبغي الريب في ان الهادي بنفسه ، العالم بذاته من غير تعليم

من الناس ، الذي لا يخطيء ولا ينسى ولا يسهو ولا يغفل ، والذي انتهى إليه علم صاحب الرسالة وصفاته هو الحقيق بتلك النيابة ، والجدير بهاتيك الخلافة .

وما اختار الرسول الحكيم أهل بيته للخلافة عنه من قبل نفسه وإنما كان بامر من الله تعالى لعلمه سبحانه بانهم السذين يتقصدون بتلك الصفات ، ويقدررون على النهوض بهاتيك الاعباء ، ومن ثم أشار (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن الهداية بالتمسك بهم ، والضلالة بالمخالفة لهم ، ولو كانوا أمثال الناس في هاتيك الخصال وأنت تعلم حال الناس من الخطأ والصواب ، والنسيان والذكر ، والغفلة والالتفات ، والسهو والانتباه - لما كانت لهم الخلافة دون الامة ، وكان الايضاء اليهم بالامر ترجيحاً بلا مرجح . وهو قبيح عند أرباب العقول ، فكيف يفعله المرسلون .

على أن الكتاب الحكيم محتاج الى المؤول والمفسر لما صرح به نفسه من اشتماله على المحكم والمتشابه ، وأن أرباب الزيغ يتبعون متشابهه دون محكمه ، ولولا ما يخفى على سواد الناس من الفرق بين المحكم والمتشابه لما انتهز أرباب الضلالة الفرصة لفتنة الناس باتباع المتشابه ، فاذا لم يكن هناك مؤولون يكشفون للناس ما خفي عليهم من الفرق بين القسمين لكان لأولئك الزائعين في تأويلهم شبهة يرتطم بها الناس بعضهم ببعض ويخفى على ضعفاء البصائر الجواب عنها ، على أن ذلك التأويل الزائف ما زال متبعاً عند قوم حتى الساعة ، وذلك لأنهم تركوا في تأويل القرآن أهل التأويل الذين نص عليهم الرسول (ص) ومن أين جاءت شبهة القول بالتجسيم ، وشبهة القول بالجبر ، إلا من هاتيك الآيات المتشابهة ، وما كان تصريح أهل البيت ببطلان هاتين الشبهتين وأشباههما وهم المرجع في

التأويل وما كان حكم العقل بفسادهما ، وهو الحكم الفاصل في
المخاصمات ينفع في اقناع أولئك القوم في العدول عن هاتين الشبهتين ،
وما ذاك إلا لأن لهم من متشابه الكتاب مفزعا يرجعون اليه ، وإن أوضحه
المحكم .

ولو لم ينص الكتاب الاقدس على احتياجه الى المؤولين الراسخ
علمهم لكان من صمته دلالة بينة على احتياجه الى المفسر الناطق ، ولو
كان في استغناء عن ذلك المؤول الناطق لاجمع الناس على مدلوله ،
واطبقت الامة على منطوقه ، ولم تصبح في تأويله شيعاً ومذاهب ، وفرقا
وطرائق ، ولما بلغت تلك الفرق الى ما يزيد على السبعين ، وكل فرقة
تزعم أن دليلها الكتاب ، وهو الناطق بحجتها ، والمصباح لهدايتها ،
وتستشهد على ما تزعم بآيات منه تؤولها حسبها ترغيباً وتهوى .

فاذا لم يكن للكتاب العزيز مرجع خاص في معرفة تنزيله راسخ
العلم في تأويله ، فمن يكون الفيصل بين هذه الفرق المختلفة ، والحكم
بين أولئك الخصوم المتنازعة ، ليردها الى الحق المحض ، ويوردها المنهل
الصفو ، فانه لا يسوغ ان يكون في الامة ذلك الاختلاف الجم من دون
مرجع منصوب لإيضاح الحق ، وكيف يسوغ هذا الكتاب واحد والنبوي
واحد والشريعة واحدة .

وليس بقاء هاتيك التأويلات الباطلة ، والفرق المتخالفة حتى اليوم
وهنا في أولئك المؤولين الراسخ علمهم ، وطعناً فيهم بالتقصير أو القصور
عن ازاحة الشبه الفاسدة ، بل ان الناس انفسهم اعرضوا عن أولئك
العلماء الهداة وأبوا أن يسمعو لهم حجة ، ويصغوا منهم الى قول ، وما
ذنب أولئك الأدلاء اذا سلك الناس سبيلا غير سبيلهم ، مع دلالة المصلح

الأكبر عليهم ، فما كان تفرق الناس عنهم ، واعتمادهم على آرائهم وأهوائهم ، وان أوقعتهم في مهاوي العطب ، وصيرتهم طرائق قديماً ، إلا بما اختاروه لانفسهم ، وما هم بضائرين إلا أنفسهم .

ولو أهمل الرسول (ص) الإشارة والارشاد الى صاحب التأويل ، لساغ أن يزعم كل ناعق بضلالة أنه الراسخ العلم وصاحب التأويل ، ولقد زعم بعضهم انه ممن انتهى اليه التأويل فوق وأوقع الناس في المهالك ، لاستقلاله بالتأويل دون أهل التأويل ، ولو كان أولئك المؤولون جميعاً من أهله لما اختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي يكشف عن جهلهم بالحقيقة وبعدهم عن الصواب ، ومع تبين هذه الحال لهم استقاموا على ذلك الاختلاف والمخالفة ، واستمروا على مجانبة ذلك العالم بالتأويل .

قال الرسول (ص) أرشاداً الى الخليفة الثاني : (وعترتي أهل بيتي) فابان (صلوات الله عليه وعلى آله) من هو المعني بالعترة بقوله : أهل بيتي ، فاعنانا بفضل بيانه عن الخوض في المقصود من العترة .

غير أن الامر كله في انه من المقصود باهل البيت ، لأن الناس على اختلاف في ذلك ، فبين من ذهب الى أن أهل البيت نساؤه والهاشميون عامة ، وبين من ذهب الى أنهم بنو هاشم خاصة دون النساء ، وبين من ذهب الى أنهم رهط خاص من بني هاشم ، وهم الذين جللهم بكسائه ، وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) وهم علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام ، وهذا الخلاف جار في كل آية ورواية جاء فيها ذكر لاهل البيت (عليهم السلام) ؛ سوى أنه يمكن أن يقال بان الزهراء (عليها السلام) غير مقصودة من أهل البيت ههنا ، وذلك فيما اذا فهمنا

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

من الحديث النص على الخلافة والامامة .

ولعلنا نهتدي الى المعنى من أهل البيت بعينه ، ونعرفه بشخصه دون ما تعمق في الاستنباط ، أو تكلف في سلوك السبيل اليه ، فنقول : إن الرسول (ص) أراد بهذا الحديث أن ينصب علماً لهداية الأمة وأرشادها ، وعالماً يدلها على تأويل الكتاب حسب نزوله ، وإماماً بجمعها على الخير والهدى ، ويصدها عن الشر والضلال ، وأين نساؤه وعمامة الهاشميين من هذه الملكات القدسية التي لا تكون إلا للأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) فاننا نرى النساء وبني هاشم على غير ما يراد من هذه المنزلة العظمى ؛ فلا بد أن يريد من أهل البيت رهطاً لهم الكفاية والقدرة على النهوض بتلك الاعباء الباهظة ، ولا بد أن يكون ذلك الرهط معلوماً لديه ولدى الناس ، ولو كان مجهولاً للامة لم تنفع الاشارة الاجمالية اليه ، ولم تخرج الأمة بها من الضلالة . لأن الأمة تختلف عندئذ في تعيين أولئك الرهط .

لا سيما إذا ادعاها خلق كثير منهم . وزعم كل واحد أنه الخلف دون سواه . وقد اختلف الناس وأخذوا يمينة ويسرة مع تلويح الرسول (ص) وتصريحه بذلك الخلف . فكيف لو لم يفعل ، نعم لو لم يفعل لقامت الحجة من الناس عليه ، ولكنه حين فعل قامت الحجة منه عليهم .

ولو كانت اشارة الرسول (ص) الى الخلف من بعده إشارة اجمالية من دون تعيين لنفر خاص لما كان ثمة دافع عن التنافس ، أو رادع عن دعوى العلم بالكتاب ، ومن يكون الحكم عند ذلك بين الخصوم في دعوى العلم والخلافة ، وما المرغم لأولئك الخصوم على الخضوع لشخص بعينه من دون نص وتعيين من صاحب الرسالة (ص) فان الناس جاھروا بالحد

لأولئك المنصوص عليهم مع تظافر النصوص ، وتصديق آثارهم لها ،
فكيف لو أهمل الرسول أو أجمل ، أو لم يكن أثر يشفع للخبر ، .

إن الناس لا بد أن تعرف في عهد الرسول (ص) من هم أهل
البيت ، ولا بد أن يكون الحديث نفسه في عهد الرسول وهذا العهد دالاً
عليهم دلالة وأضحة ، ومرشداً اليهم ارشاداً لا لبس فيه ولا تعمية ، وإلا
لما صلح هذا الحديث لان يكون من المصلح الاكبر حجة على الأمة ،
يقطع منهم العذر والحجة .

إن الحديث الشريف نفسه حين عبر عن العترة بالثقل وقرنه بالكتاب
دلنا على أن هذا الخليفة الثاني رفيع الشأن ، ثقل الميزان ، عليم بما في
القرآن ، راسخ العلم لا يعترى علمه شك ولا ارتياب ، معصوم من
الخطايا والذنوب ، منزّه عن النقائص والعيوب ، به الهدى من الضلال ،
والانتشال من الجهل ، شأن عديله وقرينه الكتاب ، كما عرفته وستعرفه إن
شاء الله تعالى ، وأين من هذه الصفات نساؤه وعامة الهاشميين .

ولو كان هذا الخليفة الثاني وعديل القرآن لا يتصف بجميع تلك
الصفات ، أو يتصف بها طوراً وطوراً ، لما تركه الرسول خليفة عنه هادياً
من الضلالة وقريناً للكتاب الحاوي لهاتيك الخصال .

أو كان غير قدير على تأدية وظائف الرسول التي لا بد منها للخليفة ،
والتي لا غنى للناس عنها لما كانت الهداية به دائماً والخروج به من الضلالة
أبداً ، كما وصفه بذلك الرسول الصادق الأمين ، وكما هو شأن عديله
الكتاب .

ومن يا ترى من بيت الرسالة يتصف بتلك الملكة القدسية التي لا
تكون إلا في افاذ من البشر إختارهم الخبير تعالى للرسالة أو الوصاية ،
أترى يصلح لها غير المرتضى وولديه (عليهم السلام) .

إن كانت تلك الصفات مجتمعة في أحد فلا تعدو الوصي والسبطين وإن كانت العصمة بعد الرسول موجودة في بشر فلا تتخطى علياً والحسين ، ولئن فاتت هذه السجايا التي لا بد منها في الوجود الوصي وابنيه فمن يا ترى يكون لها من أهل البيت ، ومن هم أعلم منهم وادري ، وأرشد واهدى ، بل من هو على شاكلتهم يجاريهم في الفضائل ، وبيارهم في العلوم والمعارف ، ويصلح للعصمة لو كانت ثمة عصمة .

إن فاتت هذه الصفات أبا الحسين والحسين فقد جاز على المرشد الأكبر (ص) أن يرشد الى معدوم الوجود ، أو يشير الى مستحيله ، فيكلف الناس معرفة ما لا يسعون ، ويطلب منهم ما لا يجدون .

فأهل البيت إذن في عهد صاحب الرسالة (ص) الذين يقصدهم هذا الحديث الشريف هم علي والسبطان فحسب ، حصراً وجدانياً ، وحكماً عقلياً ؛ ليس فيه ارتياب . ولا دونه حجاب . وهذا الحصر والحكم يرغمان المرء على الاعتراف بهذه الحقيقة في كل عهد وزمن . فكما فهم الناس في عهد خاتم الانبياء (ص) أن المراد من أهل البيت المرتضى ونجلاه نفهم هذا منه اليوم ، ما دام الهدف الحق . والقصد معرفة الثقل الثاني .

ولا أحسب أن هذا المفهوم من الحديث يخفي على أحد بعد الرواية والبصيرة ، والتجرد عن المرتكزات والتقليد في العقيدة .

ولو كان في بني هاشم من يبلغ شأن أمير المؤمنين وولديه في الفضائل والمعارف والعلوم ، لظهر أمره ، وبان خبره ، وأرشدتنا اليه الاخبار والآثار. هذا ما استفدناه من الحديث نفسه . ولو أردنا أن نؤيد مدلوله بالآيات والروايات لكان لنا منها متسع . ولكننا أردنا أن نكون نحن والحديث من دون أن نستعرض سواه في هذا المقاد .

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً

كلمة ما أسلس بيانها ، وأوضح مفادها ، ليس في تركيبها تعقيد ، ولا في مدلولها غموض .

دلنا على أن الدليل بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الى الهدى والخروج من دياجر الضلالة كما كان في عهده . هو التمسك بالثقلين معاً .

وهذا الارشاد من رسول الرحمة والرأفة يعم الامة جميعاً ، ويلفت صحابته الى أن الاستمرار على الهداية لا يكفي فيه ما استقوه من ينبوعه دون أن يتمسكوا بعده بهذين الخليفتين وبنه الاجيال الآتية من المسلمة الى أن الاسلام لا يكون مناراً للهدى إلا بالتمسك بالثقلين ، فانها رائد الحق ، وسلم النجاة وأي أمرىء لا يحتاج الى رائد في الوصول الى الحق والصدود عن الباطل ، ومن يؤمنه لو سلك السبيل وحده من غير دليل ورائد - والطريق شاسع - ان يقع في فلوات جرد حيث لا ماء ولا كلاً ، وهناك العطب ، وأي بصير يستغني عن السلم في الرقي الى معارج الحق الرفيعة ، ومن يؤمنه - لو ارتقى بدونه - أن تكون المعارج ملتوية فلا يجد مستلماً ليديه وموطئاً لرجيله فتزل به القدم ، فالى أين - يا ترى - المهوى والمنقلب .

وهذه الكلمة كما أرشدتنا بدلالاتها الى أن الهدى بعد الرسول (ص) بخليفتيه ، أرشدتنا الى استمرار ذلك الهدى ما دام إنسان ، وما دام كتاب وعتره .

ونستفيد التأييد الدائم لعدم الضلالة بهما من - لن - الدالة على النفي لنؤبد ، ومن التصريح بالتأييد بقوله - أبداً - فالهدى الابدي الذي لا يحول ولا يزول هو بالتمسك بهذين الثقليين ، وبعد أن دلنا نبي الرحمة والهدى على تلك الهداية كان لزاما علي أن أتبع دلالاته ، فلا أحميد عن الثقليين قيد انملة فأضل وأهلك ، ولست مسؤولاً بعد هذا التعيين منه (ص) عن غيرهما من الكتب والناس ، ما لم تكن قد اخذت عنهما متفقين ، واستندت اليهما مجتمعين ، فانه ادري بمن يصلح للدلالة بعده ، ولا يهمني بعد هذه الوصية منه ما قيل ومن قال ، وهذا الموقف هو الجدير بكل مسلم أن يقفه مع الثقليين بعد ذلك النصح والارشاد من رسول الاصلاح (ص) .

غير ان المهم أن نعرف ما هو التمسك بالثقليين ، فان التمسك هو الغاية التي ينشدها الرسول (ص) من هذا الحديث كله .

إن حقيقة التمسك هي الاعتصام ، وليس الغرض منه هنا القبض باليد ، بل التمسك بالشيء إنما هو حسب ما يليق به ويتفق وشأنه ، ولما كان الكتاب - كما علمت - مصدر الشريعة المحمدية ، وقاعدة النظم والاحكام ، وينبوع الفضائل والاخلاق ، ومفتاح العبر والعظات ، وكانت العترة الكتاب الناطق ، الكاشف عن أسرار الكتاب الصامت ، والدليل على عظمة الاله الفاطر والمرشد الى واجب العبودية إزاء تلك العظمة ، والموئل في حياتنا الدينية والسياسية . كان التمسك بالثقليين الاخذ بما أرشدا اليه ، ودلا عليه ، واتباع ما أمرا به ونهياً عنه ، فان خالف المرء سيرهما إجتيازاً ، أو تخلف عنها نكوصاً ، اعتصاماً برأيه أو اتباعاً لغيره . لم يكن من المتمسكين بل كان من المنحرفين الزائغين .

هل هناك ثقل ثالث

هناك أمر لا بد لنا من النظر فيه والبحث عنه . بحث مستهدف للحق ، متطلب للحقيقة ، مصباحه الذي يسير على ضوئه - الدليل - وبه تستنير غياهب الشبه والشكوك ، وأي نبراس يجلو لنا دياجر الاوهام والهواجس أضواً منه ، وهو أنه هل هناك ثقل ثالث يلزمننا صحيح البرهان بالتمسك به والقبض عليه ، بحيث يكون ذلك الثقل على مثل الكتاب والعترة في الخلافة والاعتصام والعلم ، فمن تمسك به اتخذ الى الهدى سبيلاً ، الى الفرار عن الضلال والردى طريقاً .

زعم فئة من المسلمين أن لدينا ثقلاً ثالثاً يجب التمسك به والاتباع له . ألا وهو - الاصحاب - ورووا في ذلك حديثاً عن نبينا المرشد الاكبر (ص) زاعمين أنه قال : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

ولا بد لنا من تمحيص هذا الحديث لنكون على بصيرة من أمره ومن موقفنا إزاء الاصحاب ، فانه إن صح سنده وتمت دلالاته أوقعنا في مأزق ضيق لا نجد ثغرة فيها المخرج من لوازمه ، ولعلنا نهتدي الى التوفيق بينه وبين حديث الثقلين .

لا أريد أن أتحدث اليك عن سند هذا الحديث وحاله فان الحديث عنه ذو شجون ، وانما ابحت عن الدلالة فان بها غنى وقناعة ، ويضطرني الحال الى أن أشير الى احوال بعض الاصحاب ، وانه هل لنا سبيل الى أن نجعلهم قدوة كالثقلين .

إن كلمة الاصحاب اطلقوها على من رأى النبي (ص) وسمع حديثه ، سواء أكان مهاجرياً أو أنصاريّاً ، وأنت على خبر بان الرسول (ص) في بدء الاسلام أراد أن يبث روح الاسلام في الناس ، وينشر تعاليمه الحية ، والناس لا تتقبلها ولا تقبل عليها إذا جاءتهم دفعة واحدة ، فان الحواجز دونها حمة ، فمن حسد الى بغضاء الى عداة الى جهل الى عصبية لدين الآباء الى ما شاكل هذه ؛ وأنت ترى أن في البعض من هذه حوائل دون الرضوخ للحق وإن عرفته النفس وأيقنت به ، ومن ثم كان تبليغه للاحكام والتعاليم نجوماً شأن القرآن ونزوله ، لئلا تنفر الناس من هجومها عليهم مرة واحدة ، ويروها عبثاً ثقيلاً لا يطاق حمله ، وتلك سياسة إلهية كانت أحد العوامل لنجاح الدعوة الاسلامية ، جرى فيها الرسول على سنة التدرج في النظام الكوني وسنة التطور في البشر ولا غرابة فهذا شأن الله تعالى في خلقه .

وكان من سياسته الرشيدة أن تقبل من كثير من الناس الاسلام ظاهراً وإن أبطنوا الكفر ، فان طرد أمثال هؤلاء عن حظيرته تكثير لاعدائه وتقليل من أعوانه ، على أن المرجو من مثل هؤلاء أن يدخل الاسلام في قلوبهم ولو بعد حين ، كما تظاهروا به وساروا عليه ، وقد أخبر عن سرائر بعضهم القرآن العزيز بقوله : ﴿ ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ ، فوجود المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام في أصحاب النبي

(ص) لا ارتياب فيه .

وما زالت منهم فئة مندسين في المسلمين حتى بعد عهد الرسول (ص) وقد خفيت حالهم على كثير من الناس في أيامهم وأيامه والوحي ينزل عليه ، فكيف بعد ذلك العهد بقرون ، وإذا علم أمرهم مثل سلمان وحذيفة وعمار وأصراهم فليس كل الناس لديهم معرفة سرائرهم وما انطوت عليه ضمائرهم .

فاذا كان في المسلمين ذلك اليوم من أبطن الكفر فكيف نقتدي بكل فرد منهم دون أن نثق بإيمانه ، ونعرف صحة اسلامه ، وما تنفعه تلك الظاهرة إلا في ادخاله في ربة الاسلام وعدة من المسلمين في الاحكام .

إن المنافق كافر وهو يود أن يرجع الناس الى الكفر ، ويسعى له جهده لو أمكنته الفرص ، ومن الذي دحرج للرسول (ص) الدباب ليلة العقبة ، ومن الذي دعاه الى الصلاة في مسجدهم ليقتلوه ، ومن الذي قال : ليخرجن الاعز منها الاذل ، الى غير هذا من سعي المنافقين وكيدهم للاسلام ، هذا والنبى حي والوحي يأتيه ، فكيف حالهم مع الاسلام من بعده ، أصبح للمسلم أن يقتدي بمثل هؤلاء ويجعلهم أئمة في الهداية وكيف يستضاء بالمنافق وهو ظلام حالك لا نجم ثاقب .

وزد على هذا أن كثيراً من الصحابة كذبوا على الرسول (ص) ونسبوا اليه أحاديث وأقوالاً لم ينسب منها بنت شفة . وأعمالاً كان بريئاً منها ، وقد أخبر الرسول (ص) نفسه انه سوف يكثر عليه الكذابون ، وأوعدهم بتبوء مقاعدهم من النار ، وهل يأمرنا الرسول (ص) وهو الناصح الامين أن تتبع الكذبة الخونة أهل النار ، وهل سبق في شريعة سماوية أن أئمتها

الهداة كانوا من أهل الضلال والنار والكذب على الله وعلى صاحب الشريعة ، وأحسبك تراه مستحيلاً عقلاً ووجداناً ، ولا أدري كيف تستنكر من الشرائع السالفة ما ترتضيه لشريعتك الغراء وهي أفضلها نبياً وأمة .

وهناك شأن يحجم القلم عن التبسط فيه ، وهو ما وقع من الخلاف بين الاصحاح والنبى (ص) بعد لم يدرج في أكفانه ، والسقيفة والخلاف في الخلافة أول حدث جليل في الاسلام وبين الاصحاح ، بايع فئة من الصحابة أبا بكر وأنكمش آخرون . فبمن الاقتداء من هؤلاء . وما وجه تقديم بعضهم على بعض في القدوة .

ودع عنك حادث السقيفة العظيم ومخالفة زمرة من الاصحاح لابي بكر وجماعته . وبلوغ سبيل الخلاف بين الفئتين الزبي واستمراره الى اليوم . وانظر في الحوادث بعد ذلك اليوم . وأهمها حادثة الشورى واختلاف الناس في الخليفة واستسلام بعضهم قهراً لمبايعة عثمان . وما انقضت برهة طويلة من أيامه حتى أنكروا الكثير من اعماله ، فوجدوها فرصة للتأليب عليه واطهار ما ابطنوه من السخط على بيعته . وفي طليعة المؤلبيين والمتآمرين عليه عاتشة وصاحبها طلحة والزبير حتى أن ناساً من الصحابة نسب اليهم مباشرة قتله بعد أن اجمعوا على خلعه فقل لي بمن نفتدي فتهتدي من هاتين الفئتين المتخالفتين . والحزبين المتحاربين ، أبالقاتل أم بالمقتول ، وباللاعن أم بالملعون ، أم بكليهما ، وهل يمكن الاقتداء بهما معاً وهما على حرب ، أم نفحص عن فئة ثالثة قد اعتزلت الفريقين لنجعلها القدوة بعد أن نعرض عن تبنك الفئتين ، وهل في ذلك اليوم حزب منحاد ، أم ماذا نصنع . . ؟

ولا تنس الايام والتاريخ أمر عثمان ، وما كان من شأن حصاره

وقتله ، فقد كفره الاصحاب وقتلوه بعد خلعه وقد كان يزعم الكثير منهم أنه أمامهم قبل هذا اليوم ، فبأي اليومين نقتدي به ، وعلى أي الرأيين منهم نعمل .

واليك منهم ما كان مع أمير المؤمنين المرتضى فقد أجمع الناس على بيعته ثم نكث الزبير وطلحة واخرجا معها عائشة الى البصرة فكانت حادثة الجمل وانهاق تلك الدماء الكثيرة من المسلمين ، فمن المسؤول عن هاتيك الدماء المسفوكة ، ومن الامام المقتدي به من ذلك العسكرين ، ولا محالة أن أحد الفريقين عات ظلوم ، وفي عنقه ذلك الحدث الكبير والدماء المراقبة ، وهل يجوز أن يكون الظالم إماماً نقتدي به ؛ والله تعالى يقول : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾^(١) وهل تكون هداية بمن اعتدى فأضل الناس وارق الدماء طلباً للرياسة والزعامة ؛ من دون أن يفعل ذلك عن شبهة أو دفاعاً عن دين أو حرمة أو حريم .

والخطب الافضع ما كان من معاوية وابن العاص وحثالة من الناس نسبوا انفسهم الى الصحبة فحاضوا بحوراً من الدماء يوم صفين ، افنقتدي بأمر المؤمنين أم باولئك القاسطين وهل يصح لنا إذا كان كل صحابي قدوة أن نحارب المرتضى اقتداءً بمعاوية ، ونحن فوق ذلك مهتدون ومعدورون عند الله تعالى لأن قدوتنا من الاصحاب .

ولا تنس قارعة الطف الموقعة ، فقد كان في جيش ابن زياد سمرة ابن جندب وقد اعتبره القوم من الصحابة ، أفيجوز لنا أن نحارب الحسين ومن بحياله من الصحابة اقتداءً بسمرة ، ومن الذي أخرج من عموم الحديث سمرة ومعاوية وأمثالهما ، وطلحة والزبير وأشياعهما ، ومروان والوليد بن عقبة وأشباههما ، إن كان الحديث صحيحاً ، يأمر باتباع كل

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

من له صحبة ، وما الفارق بين الهادي والضال منهم لندفع الضال ونركن الى الهاد وكل واحد منهم له فئة يركنون اليه ، ويصوبون أعماله وآراءه .

إنك لو سبرت سيرة الاصحاب بعد الرسول (ص) الى يوم انقراضهم لما وجدت عصراً لم تتخالف فيه الصحابة ، بل ولم تتحارب ويكفر بعضهم بعضاً ، ودونك أخبارهم فاسبرها ، وآثارهم فانظرها .

وما كان الخلاف بينهم في الزعامة والامامة فحسب ، بل اختلفوا في الرواية والفتيا عنه (ص) وفي السيرة والاخلاق وفي طرق الهداية والارشاد ، وفيما سوى هذا ، وهاتيك أحوالهم تقرئك أياها كتب السيرة والترجمة والتأريخ .

ولو ضعف إيماننا بهاتيك الكتب لكفتنا عن سبر أحوالهم آية الانقلاب ، وأحاديث الذود عن الحوض ، وأحاديث الافتراق ، وما مائلها ، ومن كانت تلك حاله كيف يصلح للهدى والرشد .

هذا إذا نظرنا الى الاصحاب وسيرتهم فحسب ، وأما لو نظرنا الى موافقهم مع أهل البيت . الذين أذهب الله عنهم الرجس وأمرونا بمودتهم والتمسك بهم . لأيقنا بان القوم قد أنستهم الاضغان والاحقاد ما لأهل البيت من حق وما لهم على الأمة من فرض . فإين آية التطهير وأين آية المودة وأين سورة هل أتى . وأين حديث السفينة . وأين حديث باب حطة وأين حديث الثقلين . وأين حديث حربهم حربي وحربي حرب الله ، وسلمهم سلمى وسلمى سلم الله وأين . . . وأين من ذلك العداء الذي نصبوه لهم ، والحرب التي شنوها عليهم فكأن هاتيك الآيات ما نزلت وهذه الاحاديث ما وردت إلا لمقاومة أهل البيت وحربهم والخلاف عليهم .

وما أصبح مذهب أهل البيت مستطيلاً إلا بنفسه يخالفه الكثير من

مذاهب الصحابة وآرائهم وجرى الخلف على سيرة أولئك السلف فالناس الذين أمرهم الرسول بمتابعة الثقلين ساروا حتى الساعة على المخالفة والمعارضة .

بلى كان زمرة من الاصحاب لا يشك بايمانهم وهداهم وأجتهدهم في النصح والارشاد أمثال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وابن مسعود وحذيفة وخزيمة وجابر وأبي أيوب وكثير سواهم ساروا على خطتهم ، ولا يرتاب ذو مسكة بان الاقتداء بمثل هؤلاء رشد واهتداء ، ولكن هؤلاء لم يقفوا مع أهل البيت موقف حرب وعداء ، ولا موقف انزال وحياد ، وانما وقفوا معهم موقف اتباع وتمسك ، فهم تبع للثقلين وأنصار للخليفتين ، فلا يكون الاقتداء بهم انحيازاً الى ثقل ثالث غير الكتاب والعترة .

وأين هذا من الاقتداء بجميع الاصحاب وإن كان المقتدي به من أهل النفاق والارتياب أو الكذب والخيانة ، فمن ههنا يتضح لك أنه لا يمكن الأخذ بعموم هذا الحديث لكثرة من خرج عن عمومه .

ولو تسألنا على صحة هذا الحديث وأردنا أن نأخذ بعمومه فهل يريد النبي (ص) به أن يجعل من الصحابة ثقلاً ثالثاً في قبال الكتاب والعترة وكيف ينصب للامة اعلماً تتضارب ، وأئمة تتحارب ، وكل وأحد منها يجارب الآخر خدمة للدين ونصرة للحق ، بل انما يريد أن يجعل من الصحابة قدوة صالحة للناس لانهم المثل الاعلى في الأخلاق والفضيلة ، ونحن لا نرتاب بوجود من يصلح منهم لتلك المكانة السامية ، ولكنها في الصالح لا الطالح ، وفي المؤمن لا المنافق ، وقد نصب لنا رسول الله (ص) إماماً لا يشك كل مسلم بصلاحه وهداه ، هو الكتاب والعترة وهما المحك للتمييز بين الاصحاب ، فمن سار على نهجها القويم ، وأخذ عنهما العلم والتعليم ، فذلك القدوة المتبع دون سواه ممن اختلف معها أو خالفها .

وجملة القول أن الحديث الاول يجعل الثقيلين خليفته بعده ويجعل التمسك بهما وسيلة الهداية ، ومنه نعلم أن الاصحاب إن درجوا على سنن الثقيلين فهم أهل للاتباع والاقْتداء لا لأنهم ثقل ثالث ، بل لأنهم تمسكوا بالثقيلين امتثالاً لأمر الرسول الناصح الأمين (ص) . وأما إن خالفوا سيرهما ، واتبعوا غير نهجهما فلا سبيل الى اتباعهم ومجانبة الثقيلين ، إذ ليس لنا برهان على الاقتداء بكل صحابي على أي حال وإن خالف الكتاب وأهل البيت ولا يمكن الاخذ بعموم حديث الاصحاب - وإن صح - إذا كان يرجع بنا القهقري عن أتباع خطى الكتاب والعترة ، بل لا بد لنا من طرحه لمخالفته لما أنعقد اجماع أهل الاسلام على هدايته وهو الكتاب والعترة ، أو حمله على الصحابة الابرار الذين جعلوا الثقيلين لهم قدوة وإماماً .

ويجوز - إن صح الحديث - أن يراد من الاصحاب أهل البيت خاصة ، لأن أهل البيت من الاصحاب ، وليس الاصحاب كلهم من أهل البيت ، وليس في هذه الاستفادة بأس بعد أن كان الأخذ بعموم هذا الحديث مستحيلاً لا يمكن المصير اليه ، وحمل هذا الحديث - إن صح - على بررة الصحابة أو على أهل البيت أجمل من طرحه والقائه .

فلا بدع إذن لو قلنا : أنه ليس هناك غير الثقيلين قدوة ومتبع ، وكل من على وجه البسيطة يجب عليه التمسك بهما والاقْتداء بهديهما ، ولا فرق في ذلك بين الاصحاب وغيرهم من معتنقي دين الاسلام .

ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

إن رسالة خاتم الانبياء (عليه وعلى آله السلام) باقية مدى الزمن ، مستديمة عمر الدنيا ، فكتابه الكريم لا محالة باق ببقاء الدهر وبقاء البشر ، لا تبلي جدته تطاول السنين ، ولا ينسخه كتاب لانه معجزة رسالته الخالدة ، وحجته على العالم كله ، ومن أين نعرف صدق نبوته اليوم لولا الكتاب .

ولما كان الكتاب صامتاً ، وكان أساس الشريعة الباقية وتبيناً لكل شيء وفيه ما يحتاج الى التأويل والابانة ، وجب أن يكون له قرين يصحبه طيلة بقائه ليكون ناطقاً بتأويله ، كاشفاً عن غوامضه ، فاصلاً بين المتشابه والمحكم من آياته ؛ مميزاً بين الناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام ، وما سوى ذلك مما لا يستغني عن المؤول الناطق .

وهل يا ترى يصح في ذلك المفسر أن يتأول برأيه دون أن يكون عالماً بالتنزيل كما نزل به جبرئيل ، أو يكون عالماً ببعض وجاهل ببعض ، فلا بد إذن من أن يكون عالماً بجميع تأويله على حسب تنزيله ، لئلا يتورط في الهلكة إذا تأول بشيء يخالف نزوله .

وهل يا ترى يجوز فيه أن يسهو وينسى ويخطيء ويزل ؛ فيقع ويوقع الناس في التحريف والتصحيح ومخالفة التنزيل ، فاذن لا مندوحة من أن يكون ذلك المؤول العالم بجميع التنزيل معصوماً من هذه العوارض التي لا يسلم منها عامة البشر .

فبقاء الرسالة الاحمدية فاض بقاء كتابه ، وخلود الكتاب كفيل بوجود قرينه واستدامة وجوده ، ذلك الوجود المقترن بهاتيك الصفات التي تكشف عن ملكته القدسية ، والتي تجعل منه انساناً كاملاً بريئاً من النقص ، كما هو شأن قرينه فبقاء الثقلين الى يوم القيامة لا محيد عنه ما دامت رسالة المصطفى (ص) باقية وما دامت رحمة للعالمين وما دام زمان ، وما بقي إنسان ، وإن لم يصرح الرسول (ص) نفسه بهذا البقاء والخلود ، فكيف وهو يهتف بذلك مصرحاً به دون ما تورية أو كناية .

وما أشرنا اليه يجب أن يعرفه كل أحد من دون غور وتعمق في الفكر ، فهذا ابن حجر في الصواعق يقول بعد الآية الرابعة مما نزل في فضل أهل البيت : إن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنن وبالعلماء بهما من أهل البيت ، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة .

هذا ما قاله ابن حجر ، وما يجب أن يقوله غيره بدلالة هذا الحديث الشريف ، وحكم العقل السليم ، ولا نريد أن نستنطق غيره من الاحاديث وإن عاضدت هذا الحديث في مفاده لأن الهدف من هذا البيان بيان ما يفيد هذا الحديث دون سواه .

وهذه المقارنة بين الثقلين ودوامهما على هذه المقارنة الى قيام الساعة ينهنا الى أمور جليلة ، نشير اليها في العناوين الآتية :-

من هم أهل البيت الباكون الى الحشر

دلنا صدر هذا الحديث الشريف - كما سبق بيانه - على أن المقصود من أهل البيت على عهد صاحب الرسالة هو المرتضى والسبطان خاصة ، ولكن قوله (ص) وانها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض دل على أن العترة باقية ما بقي الدهر وبقيت رسالته وبقي كتابه ، فمن يا ترى المعني من العترة .

إن الهاشميين بعد السبطين كثيرون ولا سيما من كان من ذريتهما ، فهل اراد الرسول (ص) بأهل البيت جميع بني هاشم ، أو خصوص العلويين ، أو فئة من العلويين خاصة .

إن كثيراً من الهاشميين والعلويين محتاجون الى التعليم والارشاد وكيف يكون المحتاج الى هذا قريناً للقرآن الذي إشتمل على تبيان كل شيء ، القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، القرآن الباقي معجزة مدى الأبد فقرين القرآن لا بد أن يكون على شاكلته وناطقاً بما حواه من بيان فاذن لا بد من أن يكون تبشير النذير عنى فئة خاصة من أهله ، عندهم علم الكتاب ، وهدى الأمة ، لا سيما وقد جاء على بعض الروايات في ذيل هذا الحديث قوله : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ،

وأنت ترى أن بني هاشم كالناس من البدء حتى الساعة في احتياجهم الى التعليم والهداية ، وليسوا باعلم من الناس في علم الكتاب ولا في سواه .

فإذا كان الرسول (ص) يقصد من أهل البيت رهطاً خاصاً ، فهل قصد أناساً تجهل الأمة أعيانهم ، ولا تهتدي اليهم باشخاصهم ، أترى إن الله والرسول يكلفان الأمة شططا ، ويجملانها على معرفة من لا تهتدي اليه ، من أين للامة الوصول الى مجهول الاسم والسمة ، مجهول المكان والجهة لأن بني هاشم انتشروا في الارض فلا يخلو منهم قطر ومصر ، ولا صقع وناحية .

فلا بد أن يكون الرسول أراد رهطاً من قومه معروفة أسماؤهم وسماتهم معلومة أوطانهم وجهاتهم لا ينكرهم الناس بعد التعريف ولا يخفى حالهم بعد الاشارة والتوصيف .

فمن هو المتقصد بتلك الصفات ، والمعروفة حاله عند الناس ، غير التسعة من أولاد الحسين ، الأئمة المعروفين من علي بن الحسين الى المهدي بن الحسن العسكري الغائب المنتظر (عليهم السلام جميعاً) .

إن هؤلاء التسعة بعد المرتضى والحسينين ينحصر فيهم القصد من أهل البيت انحصاراً وجدانياً وحكماً عقلياً ، كما كان في آبائهم ، وذلك لأن الرسول إنما أشار الى فئة موجودة متسلسلة يدفعا الواحد منهم الى الآخر لثلاثي يخلو عصر من الثقل الثاني ، وتلك الفئة عالمة بالكتاب لثلاثي يخلو عصره من قرين له منهم عالم به ، ولثلاثي يخلو الامة يوماً ما من هاد لا يضل من تمسك به ، معصومة من الخطأ والزلل ، نزيهة عن النقص والعيب بريئة من الاهواء الضالة ، لثلاثي يحصل من أقوالهم وأعمالهم فساد ، وقد أرادهم الله للصلاح ، وليس في بني هاشم رهط اشتملوا على هذه الصفات غير

هؤلاء التسعة .

وهؤلاء هم الذين صرحت الاحاديث عن الرسول (ص) باسمائهم
وسماتهم ، ولو عنى الرسول باهل البيت أحداً غيرهم لبان أثره ، وانتشر
خبره ، وظهر أمره ، ولوجب على الرسول النص عليه والاعلام عنه ، وما
ادعى النص عليه بالاسم والصفة غيرهم من العلويين ولو ادعى ذلك
المقام أحد من الهاشميين سواهم فلا تقوم له الحجة ، ولا يجب التصديق
بدعواه ، من دون أن يأتي عليه نص ، أو يكون لعلمه ظهور ، ولفضائله
مميزة ، وهل شاهدت الأمة لغيرهم من الهاشميين من بعد الحسين الى
اليوم سلسلة كان لها من الفضائل والمعارف والعلوم ما كان لهم ، وهل كان
لغيرهم من الآثار في التفسير والعلم والاخلاق ما مائل آثارهم .

فلا ريب إذن بعد إمعان الفكر والروية في أن هذا الحديث الشريف
لا يريد غير الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ، وهم الذين دلت الاخبار
والآثار على ما لهم من علم وفضل ومعرفة وصلاح لا يدانيهم فيها بشر بعد
الرسول (ص) وهم الذين ورثوا العلم والفضيلة عن الرسول عن الوحي
عن الفيض الاعلى ، وهم الذين بقيت سلسلتهم محفوظة بوجود المهدي
المنتظر ، وهم الذين يصدق عليهم الى اليوم انهم العترة قرناء الكتاب ،
وان الثقلين بوجود غائبهم ما زالوا باقيين .

هذا ما أهدت اليه من معنى الحديث أمليه عليك ، وأحسب أنه
جلي لا غبار عليه .

المهدي الغائب من أهل البيت

أفصح هذا الحديث بان في كل عصر عالما بالكتاب من أهل البيت
حسبما نزل به الروح الامين من رب العالمين ، وصدع به رسول الرحمة
والهدى ، فمن هو عالمهم اليوم بالكتاب .

لا بد أن يكون ذلك العالم المنصوب للتأويل الصحيح معلوم الاسم
والنسب والنعت ، لأنه مرجع العالم كله في تفسير الكتاب وهدى الأمة ،
وكيف ينصب الرسول الناصح لامته عاماً لهم في الهداية وتأويل الكتاب ،
ويخفي عليهم شمائله وحليته ، وكيف يفرضه الله تعالى حجة عليهم
ويسألهم الرسول (ص) عن معرفته والتمسك به ، ولم يجعل إماراة على
تعيينه ، ودلالة على تشخيصه إن الله لا يكلف نفساً غير ما وسعت ، ولا
يسأل الرسول الأمة عمماً لا يعلمون وعمما لا يقدرُونَ أن يعلموه عادة ، فاذا
جاز أن يكلف الله العباد تصديق نبي مجهول في ذاته وصفاته جاز أن
يكلفهم معرفة إمام هاد مجهول الخصال والذات . ولا يكفي أن يكون ذلك
العالم معلوماً فحسب ، بل لا بد أن يكون أيضاً حياً موجوداً ، لأن الناس
في كل عصر تحتاج الى المرجع في التأويل والموئل في الهداية لتستعلم منه
حاجتها ويحل ما أشكل عليها ، لأن الحوادث المشكلة المحتاجة الى الحل

وازاحة الشبهة تتجدد في كل زمان ، كما تحتاج في كل وقت الى المرشد الهادي ولو رجعت الناس الى العالم المنصوب للتأويل والهدى لحملها على المحجة البيضاء والصراط السوي ، ولم يتركها تحيد عن الشريعة الناطق بها الكتاب والسنة قيد أمثلة .

ولا يغنى الرجوع الى الميت في كل شيء من التأويل إذ قد يأتي في الحوادث من الشبه ما لم يسبق لها ذكر أو نظير ومن الاحكام ما لم يشر اليه الأئمة السابقون ، ومن شبه الأمم المخالفة ما لا حل له من الماضين ، فمن يكون المرجع في ذلك وفي هدى الناس إن زاغت إذا لم يكن الخلف حياً .

ولو اغنى الماضون من الهداية لامعنى ذلك في الانبياء ، أو اغنى منهم أهل الشرائع خاصة ، ولماذا بلغوا مائة واربعة وعشرين ألفاً ، ولماذا فرض الرسول إماماً لكل زمان وأوجب على الأمة معرفته فقال (ص) من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، ففهمنا من هذا الحديث أن لكل زمان إماماً كما فهمنا ذلك من الكتاب الكريم حيث قال : يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، لأن الخطاب لم يكن لقوم بخصوصهم فاذا عم أهل الاسلام كافة ، وأبناء الاجيال عامة ، عرفنا أن لكل زمان والياً يسألنا الله عن طاعته كما يسألنا عن طاعة نفسه تعالى وطاعة رسوله (ص) ، فكيف ترى شأن أولئك من الهدى والرشد والصلاح عندما قرن طاعتهم بطاعته وطاعة الرسول (ص) .

فاذا وجب أن يكون المؤول الهادي وقرين الكتاب من العترة حياً موجوداً في هذا العصر ، ومعلوماً لدى الأمة كافة في ذاته وصفاته فمن هو إذا لم يكن ابن الحسن العسكري ، فانه لا يوجد اليوم منهم أحد معلوم الذات والصفات ، يحمل تلك الملكة القدسية وذلك العلم الالهي الجم

ويستطيع أن يقود الأمة الى الهدى ويحملها على اتباع الكتاب وتأويله كما جاء به الرسول (ص) فاذا لم يكن ذلك ابن الحسن (ع) فقد خلت الارض اليوم من الثقل الثاني ، وخلّوها منه مستحيل عقلاً ونقلاً .

فهذا الحديث يرغمنا على الاعتقاد بوجود عالم منهم بالكتاب يجب على الامة معرفته للتمسك به والانقياد لأوامره ونواهيه ، فاذا لم يكن ظاهراً مشهوراً ، أفلا بد أن يكون غائباً مستوراً ، نعم يجب أن يكون معلوم الاسم والنسب والصفة ، وليس اليوم فيهم أحد كذلك غيره فاذا لم يكن أحد في العترة سواه على تلك النوع فلا مندوحة من القول بان المهدي مولود موجود ، وأنه هو إمام الأمة وعالمها ، وأحد العترة التي يجب التمسك بها ، والجامع لصفات الكمال كلها في هذا العصر ، المنزه عن خصال النقص جميعها ؛ المعبر عنه بالانسان الكامل .

ولو كان غير مولود ، أو موجوداً غير معلوم لكان الحديث متخلفاً عن اعلامه ببقاء العترة الى يوم الساعة ، العترة العليمة بالقرآن ، الهادية للامة الى انتهاء الزمان المعروفة اسماً وصفات .

ولو ادعى أحد من الهاشميين سواه ذلك العلم وتلك الخلافة اللذين دل عليهما هذا الحديث الشريف لوجب علينا أن ننظر في صحة تلك الدعوى ، ونختبره في علمه ، ونمتحنه أي مقدرته من إقامة الحجة واطهار الكرامة ، ولكن العصر من يوم وفاة الحسن العسكري الى اليوم خال من ذلك المدعي غير الغائب المنتظر .

وإن وجوده بغير مخاصم لدعواه يقضي باستقامة وجوده ، لأنه لو مات لوجب ان تنتقل لتك المنزلة الكبرى الى غيره ، ومن هو ذلك الغير لو كان .

وجملة القول أن الحديث الشريف يرغمنا على الاعتراف بوجود الخليفة الثاني من العترة في هذا اليوم ، وليس أحد غير ابن الحسن لهذا المقام يوصف فيعرف .

غير أن الذي يستنكره أو يستكبره قوم من شأن ولادته من قبل وحياته الساعة أمور وأهمها أمران .

الأول : أنه كيف يعيش إنسان هذا العمر الطويل ، فقد ولد - إن كان مولوداً - باتفاق ارباب الحديث والفضائل والتأريخ عام ٢٥٥ هجرية ، فيكون عمره اليوم في عام (١٣٦٤) ١١٠٩ من الأعوام .

الثاني : ما فائدة إمام وعالم نصبه الرسول (ص) لتفسير الكتاب وتعليم الناس وهدايتهم وهو محبوب عنهم ، لا يستفيدون من وجوده ، وكيف يحتج الله على الأمة بامام لا يصلون اليه فيأخذون عنه ويهتدون به .

إن الجواب عن هذه المباحث تستطردها كتب الكلام في مباحث الإمامة ، بل اعدت لهذا الغرض كتب خاصة أمثال غيبة الشيخ الطوسي طاب ثراه ، وقد اجبنا عن ذلك في رسالتنا - الشيعة والامامة - ونشير الآن أيضاً الى الجواب لثلاث تملو هذه الرسالة الوجيزة من هذه الفائدة الجليلة فنقول :

أما الجواب عن الاول فشاهدنا عليه الكتاب الكريم ، فأين أنت عن نوح (ع) فقد لبث في قومه يدعوهم الفأ إلا خمسين سنة ، فكم لبث قبلها ، وكم لبث بعدها ، فان المهدي المنتظر حتى اليوم لم يبلغ عمر نوح ، وأين أنت عن ادريس وعيسى (عليهما السلام) وحياتهما اليوم ، فقد رفعا اليه من دون موت ، وكفى دليلاً على بقاء الانسان العمر الاطول بقاء الخضر (ع) وكان معاصراً لموسى (ع) ، وإذا جاز لحكمة أن يطيل الله

تعالى أعمار أنبيائه (عليهم السلام) فلماذا لا يجوز ذلك في أوصيائهم وخلفائهم ؛ وما أكثر الشواهد في التاريخ ممن طال بهم العمر ، غير أننا استغنينا عنهم بمن لا ريب في استطالة عمره وبقائه لأن القرآن الكريم قد ذكره ، وهو قطعي الصدور .

وأما الجواب عن الثاني فجدير بان نحيله الى الله تعالى ، لأن الايراد أشبه بان يكون عليه جل شأنه ، فان لابن الحسن (عليهما السلام) أمثالا من الانبياء والرسل قتلهم الناس من دون أن يعملوا بدعوتهم ، ويهدتوا بهداهم ، فلماذا بعثهم الله جل شأنه وما يجاب به عن أمر الانبياء فهو جوابنا عن شأن الإمام المحجوب .

فانك إن قلت أنه أرسلهم لظفا بالعباد واقامة للحجة عليهم ، وكان التقصير في عدم الاستفادة بهم من الناس انفسهم فذاك جوابنا بعينه ، ونزيده إيضاحاً .

وهو أن الواجب في النبوة والامامة أمور ثلاثة ، أن يخلق الله تعالى لظفاً بعباده رجلا له الكفاية والمقدرة على النهوض بعبء النبوة أو الإمامة ، وأن يقبل ذلك الرجل تلك المسؤولية العظيمة ، وأن يطيع الناس ذلك الرجل المبعوث أو المنصوب لذلك الشأن الخطير بعد اقامة المعجزة والبرهان .

فما كان من الله ومن الإمام فقد وقع ، وأما الناس فلم يكن منهم ما وجب ، شأنهم مع آبائهم ، بل قضوا عليهم قتلا وسماً فوق الخلاف والعصيان ، وعندما قضى المعتمد العباسي على أبيه الحسن العسكري (ع) بالسلم عام ٢٦٠ هجرية فتش عنه الغرف والبيوت ليقتله فهرب منه وغاب وهو ابن خمس ، وقد وعد الله تعالى الناس على لسان نبيه (ص) بأن يملا به

الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ولا بد أن يظهره للعباد براً بوعده فانه لا يخلف الميعاد ، والله سبحانه أعلم بالوقت الملائم ولو كان يومه الموعود فيه ظهوره هذا اليوم أو أمس لظهر فيه ، والله أمره هو بالغه .

فالناس هم الذين فوتوا المنفعة من وجوده ظاهراً ، كما فوت الاوائل المنفعة من الرسل والانبياء ، وعسى أن يكون في وجوده مستوراً فوائدها نجعلها اليوم ونعرفها غداً عند ظهوره فليس البأس إذن في غيابه إلا من الناس .

وإن كان معاصروه هم المسيئين في تغيبه إلا أن استمرار الغيبة كان من أهل الأزمنة اللاحقة ، وكيف يأمن من أهل هذه العصور أن يجاربه لو ظهر ، والناس أمثال الناس والعصور متشابهة وما لم يثق من الناصر كيف يظهر .

ومن يقدر أن يثبت أن أعوانه اليوم لو ظهر أكثر أو أقدر من أعدائه حتى يقوى بهم على محاربة أعدائه والتغلب عليهم وأين أولياؤه من أعدائه عدداً وعدة ، فإن من يعترف بولادته وحياته اليوم كممثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود ، وكيف مثل هؤلاء يقهرون محاربيهم إلا أن يشاء الله فما دمنا لا نعرف الوقت الموافق فالاحرى أن نسكت موكلين الامر اليه تعالى ، منتظرين تعجيل الفرج به . عجل الله تعالى فرجه وفرجنا به .

ومن أين نعرف أن الناس تلبى دعوته بدون حرب وجهاد ، ولم لا أجابت آباءه من قبل ، والتاريخ - كما يقولون - يعيد نفسه .

المهدي ينهى الدنيا أو الرجعة

جاء من طرق الفريقين عن النبي (ص) أن الأئمة من قريش ثم من بني هاشم ثم من ولد علي وفاطمة ، ثم انهم إثنا عشر ، ثم النص عليهم باسمائهم ، فيكون المهدي المنتظر آخرهم ، فاذا ظهر عجل الله فرجه كان بوفاته قيام الساعة لقوله (ص) في هذا الحديث : لن يفترقا حتى يردا علي الحوض واذا توفي وكانت الدنيا باقية فلا بد إذن من رجعة النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) كلهم أو بعضهم الى أن تنتهي الدنيا ، لأن الامامة وعلم الكتاب إذا انحصرا بهؤلاء الاثني عشر ولم تنته الدنيا بموتهم فلا مناص لنا عن القول بالرجعة ، لا سيما والرجعة غير ممنعة عقلا ولا نقلا ، بل هي جائزة عقلاً صريحة نقلا ، فهي ممكنة في ذاتها جائزة عليه تعالى . والممكن إذا وجدت علتة إن وجد لا محالة .

فاذا جازت الرجعة عليه وقام عليها البرهان العقلي والنقلي فاي بأس بالذهاب اليها ، والقول بها ، ونحن إنما نستضيء بنور العقل ، ونهتدي بمصباح الدليل ، وإن استبعاد بعضهم أو استنكارهم تهويس لا يقاوم الدليل ، واعتقاد البعض بعدم الرجعة من دون برهان لا يكون برهان العدم .

أهل البيت معصومون

عندما التحق رسول الله (ص) بالرفيق الاعلى بعدما أكمل الدين أصبح الناس شيعاً ومذاهب في أحكام الدين وللسائل أن يسأل : أكان ذلك لأن الرسول لم يحسن التبليغ فلم يؤد وظيفته ؛ أم لأن الناس لم يكن فيهم معصوم يأخذ عن النبي (ص) أخذاً صحيحاً كما نزل عليه وصدع به من دون نقص أو زيادة في السماع والاداء فيحمله الى الناس كما أراده الله سبحانه ، أم كان معصوم ولكن الناس انصرفوا عنه واعتمدوا على أنفسهم ، ولئن سلموا من العمد فلا يسلمون من الخطأ والسهو والنسيان في السماع أو التأدية .

إن الله عز شأنه إنما بعث النبي لهداية البشر واصلاحهم وتوحيدهم في الدين والشريعة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(١) والنبي معصوم فلا يخطيء ولا ينسى ولا يقصر في التبليغ ، فالاختلاف إذن بعده إما لصفحهم عن المعصوم أو لعدم وجود المعصوم .

إن تلك الغاية النفيسة التي من أجلها بعث الله تعالى رسولنا والرسول

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

من قبله تلزم بان يكون معصوم في كل عصر لحمل الناس على الهدى ، وكفهم عن الضلال وتأدية ما صدع به وإلا لم يقع الغرض المطلوب بتمامه من وحدة الاحكام والدين واجتماع الناس ، وهذا لطف والله جل لطفه لا يجبس لطفه ولا يمنع العباد هدايته ﴿ وهديناه النجدين ﴾^(١) ولا يحملهم على المخالفة بعد اقامة الدليل لهم ثم يعاقبهم على ذلك الخلاف وهو مسبب عن حبسه اللطف ، فلا مناص من أن يكون الناس هم الذين اختاروا الضلالة بمخالفة الخليفة المعصوم ، لأن ذلك الافتراق والتشعب يستحيل أن يستند الى تقصير النبي (ص) في التبليغ والله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة به (ص) قبل فراقه للدنيا ، أو الى حبس الله لطفه عن العباد ، وهو اللطيف الرؤوف ، الهادي الى سواء السبيل .

فوجود الهادي المعصوم لا بد منه في كل عصر ل يتم به اللطف ويحصل به الغرض المقصود من الوحدة ديناً واحكاماً واجتماعاً ولا تقوم الحجة على العباد بعد الرسول إلا به ، وإن هذا الحديث الشريف يرشدنا الى أن ذلك المعصوم الواجب وجوده في كل زمن هو من أهل البيت ، وذلك لأن الكتاب العظيم ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾^(٢) لا يجوز عليه الغش والكذب والاضلال والخيانة في هدى البشر وارشادهم الى الحق ، وان أهل البيت بحكم هذا الحديث عدل القرآن وقرينه والعلماء به ، فلو جازت عليهم هاتيك الرذائل من الغش والاضلال والكذب وأضرابها لاختلّفوا مع الكتاب وخالفوه ففارقوه ، وهذا لا يكون منهم أبداً لأنهم الملازمون للكتاب حتى قيام الساعة ؛ كما ينبك عنه قوله :

(١) سورة البلد آية ١٠ .

(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .

لإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فما داموا والكتاب معاً سلم الرشد
ومنازل الهدى كانوا بريئين عن مثل الاضلال والاغواء والكذب عمداً وسهواً
كما كان قرينهم الكتاب ، وإذا كان ذلك غير جائز عليهم كانوا معصومين
لا محالة شأن الكتاب الكريم ، والعصمة ملكة تمنع الانسان من ارتكاب
الجرائم واقتراف المآثم ، وتحوطه عن غشيان الرذائل والنقائص عمداً وخطأً
وسهواً وغفلة ونسياناً هذا هو الحد الفاصل بينها وبين العدالة ، لأن العدالة
إنما تمنع عن إتيان الفحشاء والمنكر عمداً ولا تمنع عنها سهواً ونسياناً وخطأً
وغفلةً .

وإن إخبار الحديث عن استقامة أهل البيت على الهداية الى الحشر
دليل على وجود تلك العصمة في قرين الكتاب منهم في كل عهد .

فالحديث كما يرشد الى عصمة الكتاب يرشد الى عصمة رجاله
وعلمائه وأصحابه وقرنائه ، بمفاد واحد ومدلول ثابت فيها معاً ، ولو أن
أهل البيت لا يتفقون مع الكتاب في العصمة ، وغير مأمونين من السهو
والنسيان والغفلة والعصيان ، لجاز أن ينطقوا ولو أحياناً بتأويل يخالف
الحقيقة ويبين الحق ، وأين هذا من عدم الضلالة أبداً بالتمسك بهم ،
وأين هو من إتفاقهم مع القرآن حتى آخر لحظة من الزمان .

فلو لم يكن لدينا دليل على عصمة أهل البيت غير هذا الحديث
لكفى به شاهداً ودليلاً .

علمهم لديّ

العلم اللدني ما كان من علام الغيوب سبحانه على نحو الالهام أو الوحي ، فيحصل للنفس من لدن النفس لا من خارجها بتعلم واكتساب وجد واجتهاد ، وهذا الحديث يدلنا على أن علمهم بالهام من لدنه تعالى ، ونستفيد ذلك من وجوده .

١ - إن الرسول (ص) كان يستقي علمه منه تعالى بالوحي وقد ترك أهل بيته خلفاءه على الأمة كما هداانا الى ذلك هذا الحديث ، والخليفة المنصوب يجب أن يكون مثالا لمن خلفه للهداية والاصلاح ، وحاكياً لخصاله وفعاله لا سيما والمخلف حكيم ويصير مأربه في التخليف صلاح الأمة ، وانما أشار الى الخليفة بأمر من فاطر الخليفة ، والعالم بضمائرهم وسرائرهم فلا بد أن يكون علمه من نوع علم النبي لدينا . وإذ دلّ الدليل على أن الوحي منحصر بالنبي فلا بد أن يكون الهامياً .

ولو كان أهل البيت على غير شاكلة الرسول (ص) في العلم والعرفان ، والشمائل والفضائل ، لما صلحوا أن يخلفوه وينوبوا عنه في تعليم الأمة ، وتفسير الكتاب ، وسياسة الناس على ما يفرضه الدين والقرآن ، ولما كان التمسك بهم سبيل الرشده والهدى ، والتخلف عنهم مدعاة للهوي والهلكة .

٢ - إن القرآن نزل منه جل وعز وفيه من الآي ما تحتاج الى تأويل وكشف ، فوجب أن يكون علم تأويله مستمداً منه تعالى ، لأن علم الناس

يجمع بين الصواب والخطأ ، ولو كان صواباً كله لكان واحداً لا اختلاف فيه ، وما أكثر الاختلاف فيه كما تنظر وترى ، وما ذاك إلا لما فيه من شطط وغلط ، فمن أخذ عن الناس العلم أخذ الصواب والخطأ ، فإذا وجب أن يكون علم الكتاب كله صواباً وجب أن يكون من الله تعالى خاصة ، من دون أن يكون منه ومن الناس ، ولا من الناس دونه ، وحين قرئهم الرسول (ص) بالكتاب علمنا أنهم العلماء الذين استمدوا علمهم الغمر من العلام تعالى منزل ذلك الكتاب .

٣ - إذا كان علم أهل البيت بتعلم من الناس كان الذي يعلمهم أجدر بخلافة الرسول وعلم الكتاب منهم .

وكيف يرشد النبي (ص) الى أهل بيته في علم القرآن ومقارنتهم له وفي الأمة من هو أعلم منهم به وأهدى الى الصواب وعندما اتار (ص) الى أهل بيته خاصة دون الناس عرفنا أنهم أعلم الناس بالكتاب ؛ فإذا كان علمهم صواباً أبداً وفوق مستوى علم الناس لزم أن يكون مستقاه من عالم فوق الناس ، ومن ثم جاء في بعض طرق الحديث : « ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم » .

٤ - أن حصر الخلافة فيهم وفي الكتاب أنبأنا عن وحدتهما وانحصار علمه الصادق فيهم ، وهذا يدلنا على أن علمهم من يوم وفاة الرسول (ص) الى يوم الساعة واحد ، لا يعتريه تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان . وهل يستقيم علم في بيت واحد عمر الدنيا ، على اختلاف شعبه وفنونه ، وهو يسير على شاكلة واحدة ، لا يختلف نقصاً وزيادة ، وتبايناً ومعارضة ، وذلك العلم مكتسب من الناس ، وهل شاهدت علماء توارثوا العلم وتناقلوه هذا العصر الاطول على اختلاف شعبه وفنونه ، من دون أن

تحدث بين أوقاته فرجة خالية من عالم وكان ذلك العلم اكتسبوه بتعلم ،
وحصلوه بجهد ، وكيف لا يحصل هذا العمر في سلسلتهم جاهل ، وكيف
لا تختلف مراتبهم في مقدار ما يعلمون ، وعلمهم من الصدور والسطور .

فلا بد من أن نعتقد بان هذا العلم الساري على نهج واحد مستند
الى علام الغيوب تعالى من دون أن يتوسط في تعليمه الناس ، لأن مثله لا
يكون في علم الناس أبداً .

٥ - كيف اعتمد الرسول (ص) على علم أهل بيته بالقرآن طول
الابد ، وأمن أن لا يكون فيه خطأ واغواء ، وشك وكذب ، وتخلف عما في
الكتاب الجامع لبيان كل شيء ، وما علمهم إلا من الناس وعن الناس
أفيصح أن يخبر النبي الصادق (ص) عن استدامة العلم والعلماء في أهل
بيته مدى الزمن على مثال واحد ، وأن علمهم صواب لا خطأ فيه ، وهدى
من غير تضليل ، ونصح من دون غش ، وصدق بلا كذب ، وأولئك
العلماء من سائر البشر لا ميزة لعلمهم على الناس وعلمهم مأخوذ من
الناس .

إن مثل هؤلاء العلماء لا يكونون كالناس أبداً ، ولا علمهم عن
الناس بتاتاً بل إن العقل والوجدان والعادة أدلة على أن مثل هؤلاء فوق
مستوى البشر الذي يقع عليه البصر ، وان مثل هذا العلم الذي عندهم لا
يكون إلا مستمداً من الفيض الأعلى ، وإن مثل هؤلاء العلماء لا تأتي بهم
الظروف والأيام صدفة بل هم معنيون بالخاتمة ومنح ذلك العلم ،
منصوص عليهم منه عز شأنه بواسطة رسوله الامين (ص) .

هذا بعض ما دلنا عليه هذا الحديث الكريم من علمهم من لدنه
سبحانه لا يرتشفون فرائه من مياه الناس الأجنة ، وأين العلم المستقى من
ينبوعه الفياض من العلم المستقى من ينابيع الناس .

علماء بكل شيء

يفهمنا هذا الحديث الشريف أن أهل البيت علماء بجميع ما في الكتاب لأنهم قرناؤه في الهدى ، فلو سئلوا عن حرف من الكتاب العزيز ولم يكن علمه عندهم لخرجوا عن مقارنته في الهداية وتخلفوا عن معادلته في الخلافة عن الرسول (ص) بل يحملون الناس على الريبة والمروق بسبب الجهل بالكتاب عند السؤال عنه واين هذا من إخبار النبي (ص) بانهم منار الهدى عمر الدهر ، فلا بد إذن من أن يكون علم الكتاب جميعه عندهم .

فاذا كانوا - بدلالة هذا الحديث - علماء بجميع ما في الفرقان الحكيم كانوا علماء بكل شيء ، لأن الله جل ذكره يقول في محكم كتابه : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ويقول : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ .

نعم إننا نجهل هاتيك الجامعية الكبرى للكتاب ، ونجهل كيفية علمهم به ، وهذا الجهل بتلك الجامعية وتلك الكيفية لا يدعو الى الشك فيهما .

إن من الجهل أن ننكر صحة ما نجهل ، فنكون مصداقاً لقولهم :
المرء عدو ما جهل ، ومن عدائه لما يجهل نكرانه له .

إن القصور عن إدراك المنازل السامية في العلم والعرفان لا يقضي بانكارها ، بل يجب التسليم بها ما دام الدليل قائماً عليها عقلاً وكتاباً وسنة ، وما دام الوعاء صالحاً لأن يخزن ذلك العلم وما دام الناس في حاجة لامثال هؤلاء العلماء . نعلم يقيناً من الآيات والروايات والآثار بأن مراتب أهل البيت في العلم والمعرفة والفضيلة سامية جداً ، لا يدانيهم فيها الناس ، ولا يقترن بهم فيها أحد ، لأن ما جاء في نعت علومهم مثل قوله تعالى : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾^(١) وقوله (ص) : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وقوله (ص) : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، ومثل قول المرتضى (ع) سلوني قبل أن تفقدوني ، وقوله : علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب ، وقوله وقد وضع يديه على صدره : هذا سفظ العلم هذا لعاب رسول الله (ص) وقوله وقد أشار الى صدره أن هاهنا علماً جماً لو أصبت له حملة ، وما ضارع هذا مما يكثّر تعداده يعلمنا بان علمهم الغمر مستمد من الفيض الاعلى ، فانظر هل لهذا البحر ساحل ، فاذا كان علمهم بهاتيك الصفة فهل يوجد عند الناس حتى يتعلموه منهم .

على أنك لو استقصيت بعض آثارهم - إن كنت جاهلاً بها - لوجدت أنهم مثال لهذا العلم فانهم ما سئلوا عن شيء إلا وجد السائل علم ما سأل عنه عندهم ، ولا ابتدأوا بالبيان عن أمر إلا أظهروا للناس ما لا يحتسبون وما لا يجدون علمه عند غيرهم ، فهذه الآثار وتلك الأخبار لا تدع مجالاً

للشك في انهم حقاً علماء بكل شيء حتى وان لم تصرح تلك الآثار والاخبار بسعة ذلك العلم ، فكيف وفي هذا الحديث الشريف دلالة وإبانة على تلك السعة مشفوعاً بتلك الاحاديث والآي الصريحة .

وقد ساقني التوفيق قبل سنين فكتبت رسالة عن علم الإمام ولعل فيها ما يرفع الشك ويزيح الستار ، ويريك أن علمهم فوق مستوى علم البشر ، وليس بدعاً أن تكون لهم تلك السعة من العلم لأن الناس في حاجة شديدة الى مثل هذا العلم والعلماء ، وكيف تستغني عن عالم معصوم عن الخطأ والغفلة والسهو والنسيان ترجع اليه في تصحيح ما لديها من خطأ وشك وارتياب وما شابه هذا ، وهل في الأمة سواهم من نصبه الرسول علماً للرجوع في الارشاد والتعليم .

أغنياء عن علم الناس

إذا كان علم أهل البيت مستمداً من علم العلام تعالى بواسطة الرسول الأمين (ص) وكانوا - كما يجبر ناعتهم هذا الحديث - علماء بكل شيء ، فانهم لا محالة أغنياء عن علم الناس لأن الناس أخذوا عن الناس ، وعلى قدر ما بين المصدرين من الفضل يكون التفاوت بين العلمين ، وكيف يحتاج العالم بكل شيء الى علم مشاب صوابه بالخطأ ، وممتزج صحيحه بالسقم ، وكفى برهاناً على هذا الشأن ما جاء في بعض طرق الحديث من قوله (ص) ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، ولو كانوا محتاجين الى علم الناس لما كانوا أعلم من جميع الناس بل لزم أن يكونوا من سائر الناس في الفضيلة .

الناس محتاجون الى علمهم

إذا كان الكتاب المنير حاوياً لعلم كل شيء ، وكان أهل البيت (عليهم السلام) العلماء بما حواه ، فلا محالة إذن من أن الناس كلهم من البدء الى المنتهى ما دام الكتاب وما دام أهل البيت محتاجون الى هذا العلم الذي عند أهل البيت .

ولا فرق في تلك الحاجة الى علمهم بين العالم من الناس والجاهل . وبين هذا اليوم وبين أول يوم بعد وفاة الرسول (ص) لأن خطاب النبي عام يشمل الأمة أجمعها ولو لم يكن شاهداً على تلك الحاجة إلا أن علم الناس مزيج من الصواب والخطأ ، وأن علمهم صواب محض ، ويقين بحث لكان فيه غنى عن الاستدلال بعموم الخطاب .

ولو لم يجيء في بعض طرق الحديث : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم الدال على حاجة الناس اليهم طول الزمن لأنهم أعلم الناس ، لكان من قوله ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً دلالة صريحة بأنهم أجمع الناس لصفات الهداية والكمال ومن تلك الصفات العلم ، أتري أن الجاهل أهدي من العالم ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي﴾^(١)

فكان لزاماً على المسلمة أن تأخذ عنهم دون أحد سواهم من الأمة ، وتتبع هداهم دون غيرهم ممن زعم العلم والهداية ، وكان حتماً على أولئك الذين تظاهروا بالزعامة أو العلم وتصدروا للحكم أو الافتاء أن ينقادوا

(١) سورة يونس آية ٣٥ .

ويقودوا الناس - إن اتبعوهم - إلى أهل البيت رواد العلم وورّاده ومصايح الهدى وأعلامه دون أن يحولوا بين الناس وبين ذلك العلم الالهي والهدى الابدئي .

لا إمام عليهم

قد يعنى بالإمامة تلك الإمامة السياسية التي تشف عن الملك ، وأخرى تلك الإمامة الالهية التي إن انعقدت في الأرض كانت بأمر من رب السماء .

لم تكن إمامة انعقدت في الأرض وكان مصدرها السماء إلا إمامة أهل البيت ، كما يراه أهل البيت ويراه ثلثة من المسلمين فيهم ، بعد أن أقاموا البرهان عقلاً ونقلاً على ذلك ، وأما الأمامة التي يعقدها الناس من دون علاقة لصاحب الشريعة ولا بأمر من الله جل شأنه فليست مرموقة لأهل البيت ولا معنية لهم ولأنصارهم ، ولئن طالبوا بحقهم من الامامة ، أو طالب لهم شيعتهم ، فلا يقصدون من وراء ذلك أن يتربعوا على أرائك الملك وإنما يريدون أن يثيب الناس اليهم ليقيموا موازين العدل ، وينصروا الحق والدين ، كما هو شأن الإمام عندهم .

فان تكلمنا عن الإمامة فلا نريد منها إلا التي فرضها الرسول (ص) عن الله عزّ شأنه ، وتلك الإمامة الألهية المفروضة ما ادعاها أحد سوى أهل البيت ، فمن ثمة تعرف انه لا إمام عليهم من الله سبحانه ، وأما الإمامة المعقودة من بعض الناس فانما يفرضها الناس بعضهم على بعض ،

وأين ما يفرضه الرسول (ص) عن الجليل تعالى مما يفرضه الناس أنفسهم ، وما فرضه الناس لم ينزل فيه كتاب ولا وردت فيه سنة ولا يُنفذ هذا الفرض إلا القوة أو المال لا الكتاب أو السنة فلو لم تكن للإمام المفروض من الناس قوة تعضده أو مال يسنده لم تر الناس له إمامة ولا طاعة ؛ أفهذا شأن الإمام المفترض الطاعة .

والحديث الشريف يجعل - كما أشرنا اليه بدءاً - إمامة وخلافة من الله تعالى فرضاً لا اختيار للناس ولا تخير لهم فيه ، فاذا كانت إمامتهم هي المفروضة من الله والرسول على الأمة فكيف يكون عليهم إمام مفروض الطاعة ، ولو كان إمام لوجب أن يكون مفروضاً من الله سبحانه على الناس كلهم حتى على أهل البيت فمن هو ذلك الإمام وما دليله .

وأما الآية الكريمة القائلة : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(١) فإنها لا تأمر بطاعة يزيد والوليد ممن أظهر الكفر فوق الفسق ، وكيف تفرض طاعة من يجب على المؤمنين حربه وقتاله في الله ونصرة للدين ، نعم إنما تريد الآية أن تفرض طاعة الأئمة الذين حبسوا أنفسهم على مرضاته تعالى في الشريعة وفي الناس وفي أنفسهم ، واتقوه حق تقاته .

إنما يحكم العقل والنقل بطاعة مثل هؤلاء ، وأما من حبس نفسه على الشهوات وخالف الله والرسول سراً واعلاناً ، أو خالف مرة وأطاع مرة ، فلا يجوز عليه تعالى أن يفرض على العباد برهم وفاجرهم طاعته ، وكيف يفرض طاعة من تجب إقامة الحدود عليه من عدول أهل الايمان ، ويجب نهي عن المنكر المقيم عليه ، وأمره بالمعروف التارك له .

إن الله أعدل من أن يأمر بطاعة أرباب الكذب والعصيان لا سيما إذا

كانت الطاعة من أهل العدل والاحسان .

على أننا لو تأملنا في مدلول هذه الآية الكريمة لفهمنا منها أن المقصود من أولى الأمر قوم عصمهم الله من الزلل والخطأ والذنب والعيب ولا بد أن يكون قد أعلم الناس عن حالهم ، لئلا يبقى مفروض الطاعة مجهول الاسم والوصف .

بل لو تدبرت الآية الكريمة لعرفت ذلك عنها جلياً واضحاً غير خفي ولا غامض ، وذلك لأن الله سبحانه قد قرن طاعة أولئك بطاعته وطاعة رسوله ، وجعل هذه الطاعة واحدة ، فعلمنا أنهم دون الرسول وفوق البشر في كل ما يستلزم الطاعة من سأن ، ولو كانوا من سائر البشر أو دونهم في كل شأن لما قرنهم بطاعته وطاعة رسوله ، أيصلح العصاة أو يكونوا في صف الله ورسوله في الطاعة .

بل إن لفظة الأمر نفسها تشهد بأن الأمر لهم ذاتي لأنها وصف منتزع من الذات ولو كانت كاللباس المستعار يلبس مرة وينزع أخرى ، إن رأوا أنهم أهل الأمر أو رآهم بعض الناس أهلاً له كانوا كذلك ، وان غضب الناس عليهم وانتزعوهم ذلك الوصف انتزعه الله منهم ونهى عن طاعتهم ، لما كانوا أولياء الأمر حقيقة ولا كان الوصف لهم ذاتاً .

أترى أن الله يتبع العباد فيما يرون ويرغبون فان رأوا طاعة أحد رآها أو نعموا عليه وعزلوه عزلها الله عنه الى من اختاروه أو اختار نفسه لها ، فيا ليت شعري أهكذا تكون الطاعة المفروضة منه تعالى المقرونة بطاعته وطاعة الرسول كرة بأيدي اللاعبين يوجهها حيثما شاءت الالهواء ، وكيفما رغبت النفوس ، ولو جاز ذلك في الامام لجاز في النبي ، فلا نبي إلا ما اشتهدت الناس نبوته .

كلا . إننا لو تجردنا عن النزعات لفهمنا من لفظة أولى الأمر ههنا انها صفة خاصة بهم ، منحة لهم منه جل لطفه دون الناس كلهم لباساً فصل على معاطفهم لا يعار ولا يستعار ، ولا يلبسه ولا ينزعه الهوى ، كريشة في مهب الريح ، كما كان كذلك شأن النبوة .

فالحديث الشريف عندما يفرض إمامة أهل البيت والتمسك بهم يفرضها على الأمة جميعها ، الزعماء والسوقة والعلماء والجهلة من حين وفاة الرسول (ص) الى قيام الساعة ، فمن أين تكون إمامة عليهم ، وما تفرضه الناس على أنفسهم وعلى أهل البيت لا يكون فرضاً من الله تعالى ، بل لا يمضي ذلك الفرض حتى على أولئك الناس أنفسهم الذين أوجبوا تلك الطاعة عليهم ، فان الوجوب والحرمة ومتعلقاتها من الطاعة والمعصية لا يصار اليها إلا بحكم من صاحب الشريعة ، لا بحكم من الناس حسب الهوى والرغبة . ولا تقولوا لما تصف الستكم الكذب هذا حلال وهذا حرام .

لا خليفة قبلهم

لا يراد من الخلافة إلا الإمامة ، فالخلافة إذن قسمان مفروضة منه تعالى ومجعولة من الناس ، فما كانت منه عزّ شأنه فالحديث يجعلها للعترة خاصة على الناس أجمع ، وما كانت من الناس فلا نقصدها بالبحث ، فلا بدع لو نقول :

أن لا خلافة إلهية قبل خلافتهم ، ولا بعد خلافتهم حتى الحشر والنشر ، ولا مقارنة لخلافتهم .

إن الحديث الشريف يقول : إني تارك فيكم الثقلين ، فالثقلان هما الخليفتان من بعده ، ولو كان هناك خليفة من الله تعالى دونها أو قبلها أو معها أو بعدهما لأخبر عنه الرسول (ص) كما أخبر عنها ، وآية أطيعوا الله قد أوضحنا البيان عنها ، على أنها إنما ألزمت بطاعة أولى الأمر ، وليس فيها دلالة على أن أولئك الذين تسلقوا العروش من أولى الأمر ، بل نحتاج في اثبات انهم من أولى الأمر الى دليل آخر ، فان ادلة الأحكام لا تثبت موضوعاتها إلا أن ينص الدليل على موضوعه ، وليس في الآية دلالة على تشخيص أولياء الأمر ، وما كل من يزعم أنه منهم يكون منهم .

فهذا الحديث يثبت لنا أن الخليفة للرسول هو الكتاب والعترة ، وهو المشخص لأولى الامر المعنيين من الآية الشريفة ، فكيف يكون بعدئذ عليهم خليفة لم يفرضه كتاب أو سنة أو عقل .

وأما حديث أصحابي كالنجوم فقد عرفت أن الأخذ بعمومه يوقعنا في هوة لا نجاة منها ، فان النبي الناصح لأمته أهدي من أن يجعل من المنافقين والخائنين قدوة لهم فحمله على البررة منهم المتمسكين بالثقلين أو على خصوص الاصحاب من أهل البيت أجدر ، ولو ساغ لنا أن نأخذ بعمومه فلا نفهم منه أنه يجعل من الاصحاب ثقلاً يعارض الثقلين ، وخلافة تنافس خلافة أهل البيت ، لأن الرسول بعث رحمة فلا يجعل من الأمة ائمة يقضى تنافسها على الأمامة بالبلاء والنقمة ، وكان من منافسه الصحابة لأهل البيت على الخلافة مواقف دامية لا يجهلها الناس والتاريخ .

التمسك بهما معاً طريق الهدى

إن الحديث ينطق بان الهدى بالتمسك بالثقلين معاً ومعنى ذلك أن التمسك بهما معاً مصطحبين ، والأخذ عنهما معاً متفقين ، دون أن يكون بواحد منهما بانفراده دون قرينه .

والوجه في ذلك هو أن القرآن الكريم - كما سبق بيانه - نزل على الرسول (ص) تبياناً لكل شيء ، ولم ينكشف للناس ذلك الايضاح الجامع فأما أن يبقى الكثير منه غامض السر فلا تحصل الفائدة الكبرى من تنزيله والغاية القصوى من اعجازه ، وإن كان يجده الآن غزير النفع ، لا يستطيع الانس والجن أن يأتوا بمثله وإن كان بعضهم لبعض ظهيرا ، أو تنكشف للعالم اسراره الجليلة ويبهر الناس اعجازه أكثر مما يلمسونه اليوم عندما يقفون على تلك الاسرار الغامضة .

إن الله عز شأنه ينزل القرآن ليخفي على الناس ما حواه من سر ونفع ، وإنما أنزله اصلاً للبشر ودلالة على وجوده ووحدانيته ، وهذا الشأن يحتم بان يكون له أهل يعلمون تلك الخفايا منه ، ليكونوا ادلة على الوجود والتوحيد وهداة للعباد .

وما أولئك العلماء بالكتاب الادلاء على ذاته وعبادته إلا أهل البيت بعد رب البيت ، ولو لم يكن إلا هذا الحديث دليلاً على تلك المنزلة القدسية للعترة لكفى به هادياً ودليلاً .

وإن مما يرشدنا الى حاجة التنزيل الى التأويل - سر أودعه الله فيه - هو اقتحام الأمة من البدء حتى اليوم للقيام بهذه المهمة الكبرى ، وما زال يتجدد هذا القيام والاهتمام في كل عصر وجيل ، وما زالوا قاصرين عن بلوغ سره الغامض وفائدته القصوى ، وما زال غامض السر مع اجتهادهم في التأويل وكما زعموا أنهم كشفوا جانباً من مخبيئاته عاد كأنه طلسم لم يحل .

واختلافهم في تأويله ، واعترافهم بعدم الوصول لأسراره كلها يشعرونا بان له أهلاً لا يعدوهم ذلك التبيان الجامع ، فان الله أعدل من أن يترك الناس في تأويله كحاطب ليل وعشواء في ظلماء ، دون أن يجعل لهم مصباحاً يستضيئون بنوره ، ودليلاً يسيرون على هداه ، وما كان ذلك الاختلاف فيه وعشوتهم عن بلوغ سره العجيب إلا لصفحهم عن ذلك المصباح الوضاء والدليل الهاد ، وما ذلك الصفح يخرجهم عن الاضائة والدلالة .

ولو كان الناس على هدي في تأويله لا تفقت كلمتهم واتحدت مذاهبهم فيه ، وليس الاختلاف من الكتاب نفسه ، وكيف يكون فيه اختلاف وهو نازل منه جل شأنه ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

فإذا تجل لنا أن الكتاب لا يستغني أبداً عن المفسر العالم بنزوله

وتأويله فكيف يمكن التمسك بالكتاب أخذاً بتعاليمه وأحكامه وعبره وسيره من دون أن نرجع الى ذلك العالم بالتأويل وكيف نكون آخذين بما حواه ونحن على ذلك الجهل والاختلاف فيه .

وأما التمسك بالعترة دون الكتاب فضلال حتماً ، لأن العترة حملة علم الكتاب ، والحاملون على تعاليمه ونصائحه ، فكيف يؤخذ باهل التأويل ويترك التنزيل .

على أن التمسك بالعترة دون الكتاب لا يكون أبداً لأنهم لا ينطقون إلا عن وحيه ولا يدلون إلا عليه ، فالاعتصام بهم لا ينفك عن الاعتصام بالكتاب وبالنازل منه وبالنازل عليه .

فبان لنا بعد هذا البيان أن التمسك لا يكون بالكتاب دون قرينه العترة ، ولا بالعترة دون مصدرها الكتاب ، وإنما يكون بالأخذ بهما معاً مقترنين ، وبعروتيهما معاً متفقين ، بل ما هما إلا عروة وأحدة لا يمكن التفكيك بين حلقتها المتماسكة .

غير أن العترة اللسان الناطق للكتاب الصامت ، فلا نقدر أن نتمسك بالكتاب من دون طريقهم ، لأن معرفة ما فيه بكشف خفاياه ، والتمييز بين محكمه ومتشابهه ، وناسخه أو منسوخه وما سوى ذلك ، لا يكون صحيحاً إلا من بيانهم وإيضاحهم .

العترة هادون مهديون

فماقد الشيء لا يعطيه ، فإذا كان التمسك بالثقلين طريق الهدى
والحق كان الثقلان لا محالة هاديين مهديين ، ولا يجوز عليهما الضلال كما لم
يجز الاضلال أبداً ، وهل يكون الضال هادياً والجاهل معلماً ، والعاقل عن
الطريق دليلاً .

إذن فما دام العترة مهديين وهداة أبداً كان الهدى باتباعهم ، والرشد
باخذ تعاليمهم ، كما أن الضلال بالانحراف عن سبيلهم ، والهلاك في
اجتناب وادبهم - يا عمار إن سلك الناس كلهم وادياً وسلك عليّ وادياً
فاسلك وادي علي ، فانه لا يضللك عن هدى ، ولا يدلك على ردى .-

فلو وجدنا في الناس من عاداهم وقاومهم فعادوه وقاوموه عرفنا أن
الرشد معهم والضلال مع من خالفهم ، هذا علي ومعاوية وعلي والجمل ،
وعلي والخوارج ، وذاك حسين ويزيد . البغ

المحتويات

٥	تقديم
٧	بين يدي الكتاب
١١	المصلح المنتظر في أحاديث الأديان
١٩	المهدي في ديوان الخلفاء
٤٣	مع الناقلين
٥٧	المهدي في التاريخ
٦٧	خاتمة المطاف
٦٩	واكمالاً للفائدة - الامام المهدي (ع) في سطور
٧٢	الصحابة الذين رووا أحاديث الرسول (ص) في المهدي (ع)
٧٥	التابعون الذين رووا أحاديث الرسول (ص) في المهدي (ع)
٧٨	ولادة الامام المهدي عليه السلام

الثقلان

٨٣	مقدمة الناشر
٨٥	الثقلان الكتاب والعترة
٨٩	نص الحديث
٩٠	السند
٩٢	معنى الحديث

٩٣	إني تارك فيكم
٩٩	الثقلين
١٠١	كتاب الله
١٠٦	وعترتي أهل بيتي
١١٣	ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً
١١٥	هل هناك ثقل ثالث ؟
١٢٣	ألا وانها لن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض
١٢٥	من هم أهل البيت الباقون إلى الحشر
١٢٨	المهدي الغائب من أهل البيت
١٣٤	المهدي ينهي الدنيا أو الرجعة
١٣٥	أهل البيت معصومون
١٣٨	علمهم لدنيّ
١٤١	علماء بكل شيء
١٤٤	أغنياء عن علم الناس
١٤٥	الناس محتاجون إلى علمهم
١٤٦	لا إمام عليهم
١٥٠	لا خليفة قبلهم
١٥٢	التمسك بها معاً طريق الهدى
١٥٥	العترة هادون مهديون
١٥٨ ١٥٧	الفهرست
	إليكم بعض منشورات مؤسسة النعمان

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد بن القاسم عياشي
الكلتبي

تمهد المؤسسة لكافة المؤلفين والناشرين الكرام داخل لبنان وخارجه بطبع كتبهم وصفها بالكمبيوتر وكذلك التصحيح والورق والتجليد الفني بأسعار مرضية كما تزود المكتبات ودور النشر بكتبها وكتب دور النشر الاخرى وحسب الطلب .
بيروت ص . ب ٢٥/٢٢٩ الغبيري

104